إبراهيم فرغلي

الفتاة الآلية..

والأشجار آكلة البشر

رسوم: فايزة نوار

منشورات تكوين | مرايا
TAKWEEN PUBLISHING

الفتاة الآلية.. والأشجار آكلة البشر

رواية للفتيان

إبراهيم فرغلي

منشورات تكوين | مرايا
TAKWEEN PUBLISHING

الكاتب: إبراهيم فرغلي

عنوان الكتاب: الفتاة الآلية.. والأشجار آكلة البشر

X

الرسوم: فايزة نوار

تصميم الغلاف: يوسف العبدالله

تنضيد داخلي: سعيد البقاعي

X

ر.د.م.ك: 978-9921-775-08-2

الطبعة الأولى - يوليو/ تموز - 2022

2000 نسخة

X

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING

الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة
تلفون: 00 04 81 98 965 +
بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي
تلفون: 00 58 60 11 00 964 +
takween.publishing@gmail.com takweenkw
takween_publishing TakweenPH
www.takweenkw.com

الفصل الأول»: أن ترى شبحًا في مدينة الموتى!

مغتنمًا فرصة انتهاء فترة الدراسة واختبارات نهاية العام، وبدء الإجازة، ذهب شادي كعادته إلى مقره السرِّي في «مدينة الموتى»، حيث يضع بعض اختراعاته الغريبة، وكتبه التي تهتم بالعلوم والاكتشافات وسيرة العلماء، وصورة والدته، السيدة نوال، وكذلك آلة الزمن السريَّة التي يمكن له بها أن يسافر في الزمن، والتي لا يَعرف عنها أحد شيئًا باستثناء صديقته المقربة «عالية» التي شاركته تجربة السفر إلى زمن المصريين القدماء ذات مرة.

بعد أن خرجَ من «المُختبر السرِّي»، سمع صوت خطوات قريبة منه، ولكنه لم يتمكنْ من تحديد مصدرها بالضبط فتوقف في مكانه كالتمثال؛ بدأ يتلفَّت حوله بحذر، لكن أحدًا لم يظهر له، ولم يتكرر الصوت. عاد ليمشي خطوة أو اثنتين ويتوقف. يُنصت جيِّدًا ليتأكد ما إذا كان قد سمع بالفعل صوتًا حقيقيًّا أم إنها مجرد خيالات لا وجود لها.

وقبل أن يُتابع السير، لمح شبحًا يمرُّ من زقاقٍ ضيِّق يفصل بين مبنيين في الجهة الأخرى من الطريق الضيِّقة التي تفصل بين صفَّيْنِ من المباني الصغيرة المهجورة.

شعر شادي بأن تفكيرَه قد شُلَّ تمامًا. لم يتبيَّن ملامح الشبح. ولكنَّ مكانًا مهجورًا كهذا، يجعل المرء يفكر دائمًا في أشياء خطرة مثل: «الأشباح»، «الزومبي»، «الذئاب»، أو كل ما قد يرد على الذهن في حالة كهذه. فكر: هل يركض بسرعة إلى خارج مدينة الموتى؟ أم ينتظر ليعرف سرَّ هذا الشبح؟

في النهاية، قرَّر أن يركض بأقصى سرعة؛ فأطلقَ لساقيه العنان. وما كاد يبدأ العدْو حتى سمع نداءً بصوتٍ غريبٍ، ذكَّره بلحنٍ نشاز يصدر من آلة الكمان: - «انتاااااظر! أرجووووووك!».

وبالرغم من خوفه، قرر أن يتشجع قليلًا؛ فتوقف. ألقى نظرة سريعة على الممرِّ الذي يتوسط المبنييْن المقابليْن له، فظهر له فتى نحيف، يكاد وجهه أن يختفي خلف خصلات شعره البُنِّي الكثيفة المُنسدلة على جبهته.

لاحظ شادي أن الفتى يسير بطريقة غريبة، كأنه دائخًا، تكاد ساقاه أن تلتفَّا بعضهما حول بعض، إلى درجة أنه ارتطم بجدار السور المجاور له، فتوقَّف، وأخذ يهرُش في شعر رأسه، ثم عاد ليُكمل المشي مُترنحًا.

ورغم خوف شادي من هذا الصبي الغريب، الطويل، النحيف، لكنه ذكَّره بشخصية كارتونية كان بطلها يظهر في أحد إعلانات المشروبات الغازية، فابتسم بسبب التشابه بينهما.

اقترب منه بحذرٍ، فوجد الشاب يترنَّح ويقع على الأرض. كان يرتدي بنطالًا أزرق واسعًا، وكنزة صوفية صفراء، وحذاءً رياضيًّا كبيرًا.

ظلَّ الفتى جالسًا على الأرض، فأسرع شادي إليه، وجلس بجواره. نظر إليه الفتى، ولم يستطع شادي أن يرى عينيه، بسبب شعره الطويل، المُسدل على جبهته، والذي أخفى عينيه وحتى منتصف أنفه.

سأله شادي أخيرًا:

- «ماذا بك؟ هل أنت مريض؟ وما الذي جاء بك إلى هنا؟».

لم ينطق الفتى بكلمة، مما أثار حيرة شادي، لكنه بعد لحظات أخرى نطق وبصوتٍ ضعيف، ناعم، بَدا كأنه صوت لعبة آلية: - «تِتِّي تو».

نظر إليه شادي متعجبًا من دون أن يفهم شيئًا فعاد يقول له: - «ما اسمك؟».

- «تتي تو».

- «تتي تو؟ هذا اسمك؟ هل أنت من اليابان؟».

- «تتي تو».

نظر إليه شادي بضيق وقال له:

- «ألا تعرف أي كلمة أخرى؟».

تنهد الفتى بضيقٍ ثم أخرج من جيبه جهازًا آليًّا صغيرًا في حجم الهاتف، وراح يعبث في لوحة المفاتيح الصغيرة، ثم طلب من شادي أن يتكلم.

نظر إليه شادي بغضب ثم قال:

- «أرجوك أنا أحاول أن أساعدك. هل هناك مشكلة؟».

أخذ الفتى الغريب ينظر إلى شاشة الجهاز ثم أخيرًا خرج صوته قائلًا: - «آه، حسنًا! الآن فهمت. أنت تتحدث اللغة العربية؟ كنت أظنك تتحدث الإنجليزية واعتقدت أنك تسألني عن عمري».

- «وكم عمرك؟».

- «اثنان وعشرون عامًا».

- «معقول؟ أنت تبدو لي في الرابعةَ عشرةَ على الأكثر».

- «لا، لا، أخبرتك أن عمري اثنان وعشرون عامًا».

ضحك شادي وهو يعيد نطق الكلمة التي يتصور الشاب أنها صحيحة: - «تِتِّي تو؟! تقصد «تووينتي تو». المهم: وما هذا الجهاز الذي تحمله في يدك؟».

نظر الفتى إلى شادي وهو يرفع الجهاز عاليًا، وقال له: - «هذا مترجم فوري للغات أهل الأرض!».

شعر شادي بغرابة هذا الشخص، وبدأ يفكر في أن يتركه في مكانه، ويعود إلى البيت. لكن جاءه صوته: - «هل لديك مكانٌ يمكنني أن أبيت فيه الليلة؟».

لم يعرف شادي ماذا يقول، فلم يسبق له اصطحاب أحد إلى البيت من قبل، سيكون الأمر غريبًا بالنسبة إلى مربيته، خصوصًا وأنه يلتقي بهذا الشخص لأول مرة، فقال له: - «لا أستطيع اصطحابك إلى البيت. فأنا لا أعرف مَن تكون».

- «أرجوك، أنا لا أريد أن أذهب إلى بيت. أريد فقط أن أذهب إلى أي مكان قريب من هنا».

فكر شادي قليلًا، ثم قال له:

- «حسنًا، لديَّ مكان قريب من هنا. منزل صغير حوَّلته إلى معمل لتجاربي، تعالَ لنذهب إليه».

نهض الفتي بسرعة، وهو يردد ما قاله له شادي:

- «منزل صغير حوّ.. حولته إلى معمل لتجاربي. تعالَ لنذهب إليه». «لا أفهم شيئًا».

تأمله شادي مدهوشًا ومبتسمًا، فقد كان فارع الطول فعلًا، لكنه بهذه الملابس الواسعة بدا مثل خيال المآتة الذي يستعين به الفلاحون في الحقول لكي يخيفوا الغربان.

سارا حتى وَصَلا إلى النافورة الرُّخامية الكبيرة، التي تتفرع من حولِها دروبٌ صغيرة، يؤدي كل منها إلى طريق واسعة.

استمرَّا في المشي، حتى وصلا إلى مبنى دائري ضخم من الحجر يشبه مباني مصر الفرعونية القديمة، توقَّفا أمام البوابة الحجرية الكبيرة التي تتوسط العمودين.

أشار شادي إلى بابٍ خشبيٍّ صغير يتوسط الجدار الحجري، ثم فتح الباب وطلب من الفتى أن يمر منه، لكن الفتى لم يتمكن من الانحناء. كان يتقدم ماشيًا إلى الأمام، دون أن يثني جذعه، فاصطدم رأسه بالجدار وتوقف. نظر شادي إليه متعجِّبًا ويطلب منه الانحناء، لكن الفتى راح يكرر نفس الحركة الغبية بشكل جعل شادي يضحك، ويشعر بالغيظ في الوقت نفسه، ثم قفز ليمسك برأس الفتى ويحنيها بقوَّة ثم يدفعه إلى الداخل.

الفصل الثاني: مُنْتَصَفُ اللَّيْلِ

أشعر بالسعادة منذ الصباح؛ إجازة نهاية العام بدأت أخيرًا. أنهينا الامتحانات، وأنجزنا كل ما توجب علينا إنجازه، والأهم من هذا أن ليلى ستبيت معي الليلة، سنثرثر ونتذكر الكثير من ذكريات المدرسة هذا العام، وسنضحك كثيرًا.

تمدّدنا على الفراش، وحكيتُ لها عن الكتب التي أخطط لقراءتها في الصيف. أعجبها عنوانيّ كتابيْن قالت لي إنها سوف تستعيرُهما مني.

لا أحب أن أُعير كتبي أحدًا، شادي استعار مني كتابين من قبل، ولم يُعِدْهما أبدًا، وكلّما سألته عنهما يهمس بالجملة التي لا يملُّ تكرارها: «الذاكرة مهووسة بالنسيان».

سمعنا صوتًا غريبًا فجأة فانتفضت ليلى وقالت:

- «هل تسمعين؟ هناك صوت غريب في الخارج».

نظرتُ إلى النافذة، ولاحظتُ حركة الأشجار خلف الستارة التي تغطي النافذة، فقلت لليلى:
- «لا يبدو لي أن هناك ما يدعو إلى القلق. أعتقد هذه ليست إلا حركة الأشجار في الحديقة بسبب الرياح في الخارج. سمعتُ في الأخبار اليوم أن عاصفةً رملية سوف تهبُّ غدًا، ويبدو أنها بدأت مبكرًا».

لكننا سمعنا بعد لحظات صوتًا غريبًا كأنه صوت طرقات خفيفة على زجاج النافذة، وحين نظرنا صوبها رأينا شبحًا، فصرخنا معًا.

قالت ليلى بصوتٍ مرتعش:

- «ما هذا يا عالية؟ يبدو أن هناك لصًّا».

- «انتظري قليلًا».

يا إلهي! ما العمل الآن؟ فكرت أن أذهب إلى أمي، لكنَّ هاتفًا باطنيًّا جعلني أقرر ألا أتسبب في فزع أمي.

توجهت إلى خزانة ملابسي وفتشت عن عصا جدتي، التي لا زلت أحتفظ بها، تناولتها وأسرعت إلى النافذة، وكانت ليلى تقف في مواجهتي بتحفُّز وعلى وجهها ملامح التوتر؛ أزحت الستارة بهدوء شديد وفتحت النافذة في حرص، ثم وبحركة مفاجئة وعصبية رحت أضرب الهواء بالعصا بشكل عشوائي، وشعرتُ بالعصا ترتطم بشيء أو شخصٍ ما، لأنني سمعتُ صرخة مكتومة، وأعقبها صوت ارتطام مكتوم.

نظرتُ من النافذة بسرعة، وقفز قلبي من الفزع، فقد رأيتُ شادي مكوَّمًا على الأرض.

صرخت:

- «غير معقول! يبدو أن الذي سقط من الشرفة الآن هو شادي!».

- «وما الذي أتى بشادي المجنون إلى هنا في منتصف الليل؟».

- «كيف لي أن أعرف؟ المهم، يجب أن نسرع إلى الحديقة الآن، لنعرف ما حدث له قبل أن تستيقظ والدتي».

خرجنا من الغرفة بحذرٍ، ثم تَسلَّلنا إلى باب البيت ومنه إلى الحديقة، وأسفل النافذة مباشرة وجدنا شادي بالفعل مكوَّمًا على الأرض، وهو يمسك رأسه بيده.

اقتربت ليلى منه وأمسكت به قائلة:

- «شادي! ماذا تفعل هنا في هذا الوقت؟ هل جُننتَ؟».

نظر إليها متألمًا، وظهرَ وجهه تحت ضوء مصباح الحديقة المضيء وقال: - «من المجنونة التي ضربتني على رأسي؟».

لم أتمالك نفسي وقلت له:

- «أنا يا أستاذ شادي التي ضربتكَ، أولًا لأن أيَّ لصٍّ يُفكر أن يتسلل من النوافذ في منتصف الليل لا يمكن أن يجد إلا العصا، وربما أيضًا لكي أساعدك في أن أعيد لك ذاكرتك المفقودة».

ابتسمت ليلى رغم توترها من الموقف. فقال شادي:

- «ولكني فقط أردت أن أخبرك بأمرٍ مُهم يا عالية».

- «في منتصف الليل؟ أنت مجنون؟».

- «أنا آسف، لكن لو كنتِ مكاني فستفعلين مثلما فعلت. هناك موضوع عاجل أحتاج فيه مساعدتِكِ».

- «وهذا الموضوع لا يمكن أن ينتظر حتى غدًا صباحًا يا شادي؟».

- «بصراحة لا، لا يمكن. أريد مساعدتكما للضرورة».

- «في منتصف الليل؟!».

- «خفتُ أن تكوني مسافرة مع عائلتك في الإجازة، وكان لا بدَّ أن أخبرك بهذا الموضوع الخطير».

- «شادي، انتهينا من هذا الموضوع من زمان. ألم تُخبر كل عائلتي بأن شيئًا من مغامرتنا عبر الزمن لم يحدث، وأن كل ما حكيته لأنا لهم عمَّا رأيناه في زمن الفراعنة معًا ليس إلا مجرد خيالات؟ وجعلتني أبدو أمام كل عائلتي كأنني مجنونة؟ فماذا تريد مني الآن؟».

- «أرجوكِ أن تسامحيني. بصراحة، أردتُ أن أُبقي هذا الأمر سرًّا بيننا حتى نتمكن من السفر في الزمن لو أتيحت لنا فرصة أخرى. لو كنتُ أخبرت والدتكِ بالحقيقة كانت ستمنعني من رؤيتكِ، من يمكن أن يصدق أي شيء مما حدث في رحلتنا هذه يا عالية؟».

سمعنا صوتًا يأتي من داخل البيت فأدركتُ أن أمي استيقظت؛ طلبت منه أن يلتزم الصمت، لكنه عاد يلح قائلًا إنه سينتظرنا غدًا صباحًا في معمله السرِّي في «مدينة الموتى»، وأضاف أن الموضوع بالنسبة إليه حياة أو موت، وركض هاربًا، بينما ركضنا أنا وليلى إلى البيت، وعلى أطراف أصابعنا تسللنا مهرولتين إلى غرفة النوم.

الفصل الثالث: الفَتاةُ الآليَّةُ

قبل أن يذهب شادي إلى منزل عالية في تلك الليلة، اصطحب الفتى غريبَ الأطوار إلى غرفته السريِّة في «مدينة الموتى»، وكان شادي يتأمَّله وهو يشعر أنه ليس شخصًا طبيعيًّا. كانت حركته آليةً؛ يتحرك ببطء أحيانًا، ثم يتوقف للحظات مثل الآلة، ثم يتحرك مرة أخرى بمشية آلية عجيبة.

نهض الفتى أخيرًا، ثم أخذ يتأمل المكان المكوَّن من غرفة كبيرة، وُضعت في أحد أركانِها مكتبة ممتلئة بالكتب، وبجوارها أريكة عتيقة وكرسيان أنيقان خشبهما مذهَّب. وبجوارهما مكتب شادي الذي يضع أعلاه جهاز الكمبيوتر، ومجموعة من الأدوات؛ بينها تليسكوب فضائي، ونظَّارات مكبِّرة، وقاعدة خشبية للعبة شطرنج، وأجهزة اتصال لاسلكي، وعلى الجدار البعيد شاهد الفتى غريب الأطوار صورة بطول الجدار لامرأة جميلة، تجلس على أريكة وتنظر أمامها نظرة رقيقة، وترتدي فستانًا أسودَ طويلًا، وشعرها أسودُ طويلٌ وناعم.

ولكنه لم يسأل شادي عنها، أو عن الصور الأخرى المعلّقة على الجدران.

أشار شادي إلى الصورة بعفويَّة، وقال كأنه يَستبق الكلام عنها: - «هذه صورة أمي».

اقترب الفتى من الصورة، ثم أخرج من جيبه الجهاز الغريب الذي يشبه الهاتف المحمول، وأخذ يعالجه بأصابع يده ثم قال لشادي: - «لا أستطيع أن أفهم ما قلتَ، فهل يمكن أن تكرره؟ لا أفهم معنى كلمة «أمي»».

نظر إليه شادي بارتياب ثم سأله:

- «أنا أريد أن أعرف من أنت؟».

لم يرد الفتى، بل بدأ يتجول في الغرفة ويتأمل ما فيها بفضول، وكان شادي يتساءل مدهوشًا كيف لهذا الفتى أن يرى شيئًا من خلال خصلات شعره المنسدلة على عينيه؟

راح الفتى يتأمل جهاز الكمبيوتر، من خلف خصلات شعره المنسدلة على وجهه. يقترب من الجهاز ثم يبتعد، وعندما انتبه إلى التليسكوب الموضوع على حامل معدني ضخم، والمصوَّب جهة القُبَّة التي تعلو السقف توجه إليه بفضول، وأخذ يتفحصه مليًّا.

تلفَّت حوله فرأى مكتبة شادي الصغيرة، اقترب من مجموعة الكتب الموجودة فيها، وانتقى كتابًا؛ تأمله قليلًا وتصفحه، ثم بدأ يشم رائحة الورق بشغف، بينما شادي ينظر إليه متعجبًا.

وبعد قليل أنهى الفتى جولته فأعاد شادي السؤال: - «ألن تخبرني من أنت؟».

نظر الفتى إلى شادي ثم إلى جهازه الإلكتروني، وبعد لحظات أخرى جلس على الأرض. أسند ظهره إلى الجدار القريب، وثنى ركبتيه، ثم وضع وجهه بين يديه، وبنبرة أسى جاء صوته الغريب ضعيفًا وهامسًا: - «أنا..أنا.. ضائعة!».

لم يتمالك شادي نفسه، وضحك على كلمات الفتى غريب الأطوار، الذي بَدا وكأنه لا يعرف الفرق بين استخدام المُذكَّر والمؤنث في الكلام.

سأله الفتى:

- «لماذا تضحك هكذا؟».

- «لأنك لا تعرف الفرق بين المُذكَّر والمؤنَّث، وتقول عن نفسك «ضائعة» بينما الصحيح أن تقول «ضائع»..».

- «لا بالعكس، أنا أعرف الفرق. لكنِّي حقًّا فتاة، ولست فتى».

- «فتاة؟! ولماذا إذن ترتدي.. أقصد ترتدين هذه الملابس؟».

- «هذه حكاية طويلة، لكني أشعر بإرهاق شديد، ولا أستطيع التحدث الآن».

- «أنا لن أغادر هذا المكان قبل أن أعرف قصتك؛ لأني لا أستطيع أن أترك شخصًا مثلك في غرفتي السرية وأنا حتى لا أعرف إذا كنت فتى أو فتاة».

- «أريد أنام».

- «إذن على الأقل أخبرني.. أو.. أقصد أخبريني ما هو اسمُك».

- «اسمي.. حسنًا.. ليس لي اسم! أوه. أقصد..دعني أحاول..لكن لن يمكنك نطق اسمي بلغتكم».

ثم صمتت لحظات وقالت:

- «لكن يمكنك أن تسميني «نينيت»».

- «ما هذا الكلام الغريب؟!».

لكنها لم تجب عليه بأي كلمات أخرى. فقد راحت في النوم فجأة، وتركت شادي يتأملها مذهولًا وحائرًا، ولا يعرف ما ينبغي عليه أن يفعل.

الفصل الرابع: لقاءٌ مع كائنةٍ فَضائيَّةٍ

استغرقت ليلى وقتًا طويلًا لكي تُقنع عالية بالذهاب إلى شادي، ووعدَتها أن يستمعا إليه، من دون أن يتورطا معه في أي مغامرة من مغامراته المجنونة.

وبسبب بدء الإجازة، تمكنت عالية من إقناع والدتها، السيدة راوية، بأنها ستذهب مع ليلى إلى المكتبة لشراء كتبٍ جديدة، وقالت لها إنهما سيتمشيان إلى المكتبة القريبة من البيت، ولكن الأم حذرتهما من احتمال قيام عاصفة رملية، فأكدتا عليها أنهما لن يتأخرا.

بمجرد وصول ليلى وعالية إلى «المعمل السرّي»؛ كما يُطلق شادي على الغرفة التي يستخدمها في «مدينة الموتى»، شاهدا شادي ينتظرهما قريبًا من الباب، وأسرع إليهما قائلًا: - «أشكركما على الحضور، أنتما بالفعل صديقتاي المخلصتان».

قالت له عالية بصوتٍ حاسم:

- «دعكَ من هذه الحركات لأنِّي لم أعد أصدقك. قُل لنا ما تريد أن تُخبرنا به؛ لأننا نريد أن نعود إلى البيت بسرعة».

- «انتظري يا عالية أرجوكِ، فلن تصدِّقا ما حدث أبدًا إلا إذا رأيتماه بعينكما».

سألته ليلى:

- «مفاجأة أخرى؟ هل لديك خطة لرحلة أخرى في الزمن؟».

- «لا، الأمر هذه المرة غريب جدًّا. لن تصدقي؟».

- «أخبرنا إذن. مَن؟».

- «الفتاة الآلية».

نظرت ليلى وعالية بعضهما إلى بعض ثم ابتسما بسخرية، فقالت له عالية: - «تقصد البرتقالة الآلية؟».

ضحكت ليلى وهي تستدعي اسم الفيلم الأمريكي الشهير. ولكن شادي قال: - «توقفا الآن عن السُّخرية، وادخلا حالًا لترياها، وبالمناسبة اسمها «نينيت»».

تساءلت ليلى باستنكار:

- «نينيت؟ ما هذا الاسم؟ من أي جنسية هي؟».

- «الحقيقة لا أعرف. أعتقد أنها بلا جنسية أساسًا».

- «ماذا؟».

- «هي ليست من كوكبنا الأرضي».

صرخت عالية:

- «ألم أقل لكِ يا ليلى؟ هذا هو شادي ولن يتغير. يقول أشياء غريبة ويفعل أشياء عجيبة، وحين تسألينه يقول لك نسيت. كان المفروض أن أصدق ما يقوله سيف عنه، وعن أكاذيبه».

شعر شادي بالغضب لأن عالية تثير غيظه بذكر ما يقوله سيف عنه باستمرار، فقد كان شادي، رغم ذاكرته الضعيفة، معروفًا بقدراته الفائقة في حل المسائل الحسابية، وكثيرًا ما يقوم بتحدي زميليه في المدرسة جوزيف وسيف، في حساب أي مجموعة أرقام، ومعرفة النتيجة في أسرع وقتٍ ممكن، حتى لو كانت مثلًا ٥+١٤+٣٢٥، ويترك لهما فترة لا تزيد عن

ثوانٍ قليلة، ثم يقول لهما بفخر: - «أنا مستعجل جدًّا، ومضطر أن أخبركما بالنتيجة، وهي ٣٤٤.. سجلوها عندكما».

وعندها يقول له سيف إنه غشَّاش، وإنه أعد هذه العملية الحسابية مسبقًا؛ يتحدَّاه شادي بأن يسأله عن أي عملية حسابية أخرى ليتأكد من أنه ليس غشاشًا، وبمجرد أن ينتهي سيف من تأليف أي عملية حسابية، ينطق شادي بالنتيجة وهو يبتسم، ويمسح خُصلات شعره الناعم الذي يتركه طويلًا ولا يصففه أبدًا.

كان شادي يعرف جيدًا أن سيف يطلق عليه الأكاذيب لأنه يغار منه؛ لذلك شعر بالغضب مما قالته عالية بأنها سوف تصدق ما يقوله سيف عنه، وشعر بالغيظ.

لكن قبل أن يُجيب عليها سمعوا صوت ارتطامٍ قريب من باب المَعمل، فالتفتوا جميعًا تجاه الباب الخشبي القصير، وسرعان ما تكرر صوت الارتطام أكثر من مرَّة، وأدرك شادي أن الفتاة الآلية تحاول الخروج من الباب ولا تستطيع أن تنحني، فسبقهما إلى الباب وهو يشير لهما أن يتبعاه بسرعة.

أمسك شادي بالفتاة الآلية، وطالبها بالعودة إلى الداخل وقال لها إنه سَيعرِّفُها إلى صديقتيه ليلى وعالية.

دخلت عالية أولًا، وشاهدت الفتاة الغريبة التي ينسدل شعرها على عينيها؛ مانعًا رؤية وجهها، وألقت عليها التحية، فقالت الفتاة: - «أهلًا بكما.. أنا نينيت».

عرَّفت عالية نفسها وليلى، فقالت الفتاة:

- «أنا سعيدة جدًّا».

فقالت ليلى مبتسمة:

- «هذا أمر يُسعدنا. أخبرنا شادي أن اسمك هو «نينيت»؟ وأيضا فهمنا منه شادي أن ثمَّة مشكلة تواجهك».

- «الحقيقة اسمي الحقيقي صعب جدا، وحاولت اختصاره. لكن بعد تفكير عميق اكتشفت أن لديكم هنا أسماء جميلة فاخترت لنفسي اسم نينيت، وها أنذا، لقد حققتُ حلمي أخيرًا».

- «وما هو هذا الحلم؟».

- «أن ألتقي فتياتٍ من الأرض، وأن يكون لي..».

وتوقفت عن الكلام للحظات تحاول أن تتذكر الكلمة ثم قالت: - «ما هي الكلمة؟ ساديكا؟».

ضحكت ليلى وقالت:

- «لعلك تقصدين صديقة».

فهزت الفتاة الآلية رأسها في حماس.

نظرت عالية إلى الفتاة بريبة، ثم نظرت إلى شادي وليلى وقالت: - «لكن نحن حتى الآن لا نعرف عنكِ شيئًا. يُفترض أن يتعارف الناس أولًا ثم يصبحوا بعد ذلك أصدقاء».

- «آها. حسنًا. لا بأس. كيف أصبحتم أنتم أصدقاء؟».

قال شادي:

- «أنا أعرف عالية من المدرسة».

قالت ليلى:

- «عالية جارتي، بيتها قريب من بيتي، وأصبحنا أصدقاء منذ الطفولة، وفي المدرسة تعرفنا إلى شادي وأصبحنا أصدقاء».

قالت الفتاة الآلية بصوتها المعدني الغريب:

- «أليس هذا جميلًا؟».

طلب شادي من الجميع الدخول إلى الغرفة، ووضع عدَّة مقاعد خشبية صغيرة بعضها بجوار بعض، ودعا الفتاة الآلية إلى الجلوس على واحدة منها. تأملت عالية الفتاة بشعرها البُنِّي الناعم الثقيل الذي يُغطِّي وجهها، والكنزة الصفراء الواسعة ثم سألتها: - «لكن لماذا تُسقطين شعرك على وجهك بهذا الشكل يا نينيت؟ نحن لا نرى وجهك».

التفتت الفتاة الآلية تجاه عالية وقالت:

- «حسنًا، أعتقد أنني خجولة، وأخشى أن أصبح مشهورة».

صمتت عالية ونظرت إلى ليلى وشادي، وبدا أنهما لم يفهما ماذا تعني، لكن ليلى كالعادة لم تستطع أن تمنع نفسها من الضحك، وانتقلت عدوى الضحك إلى عالية وشادي، لكنهما حاولا التماسك حتى لا تشعر الفتاة الآلية بالحرج.

أطرقت الفتاة الآلية إلى الأرض. فقالت عالية:

- «نينيت، هل يمكن أن تحكي لنا قصتك بسرعة؛ لأنني لا يجب أن أتأخر على أمي؟ كما أن هناك احتمالًا كبيرًا أن تبدأ اليوم عاصفة رملية».

راحت الفتاة تنظر إلى عالية، وتُعيد ترديد نفس الجملة التي قالتها لها، كأنَّها تحاول أن تفهم معناها، ثم قالت: - «حسنًا، ولكن كما تعرفون أنا لغتي سيئة جدًّا، وسوف أستغرق وقتًا طويلًا لكي أحكي قصتي؛ لأنني سأحتاج إلى جهاز الترجمة الآلي الخاص بي كثيرًا، ولكن يمكن أن يحكي لكما شادي جزءًا من حكايتي الآن».

ونظر الجميع إلى شادي فراح يحدِّق إلى السقف، كأنه يحاول أن يتذكر حكاية نينيت كما حكتها له.

ووجدت عالية نفسها تردد همسًا: «الذاكرة مهووسة بالنسيان». طبعًا هذا ما سيقوله كالعادة، ولن يتذكر شيئًا، ونظرت عالية إلى ليلى فوجدتها تبتسم ويبدو أنها كانت تفكر في نفس الأمر لأنها ضحكت فجأة ثم قالت: - «ألم تجدي في كرتنا الأرضية يا نينيت شخصًا آخر غير شادي لتحكي له حكايتك؟».

ضحكوا جميعًا قبل أن يفاجَئوا، بالفتاة الآلية وقد انتابتها عدوى الضحك، فبدأت تضحك بطريقة غريبة، تسبّبت في موجات جديدة من الضحك.

الفصل الخامس: زيارةٌ مُفاجئَةٌ

جلسنا أنا وليلى في حديقة منزلنا نتناول الآيس الكريم المثلّج، بينما كانت أختي الصغيرة غالية تدور حولنا وهي تُغني أغنية من أغنيّاتها العجيبة التي تلتقطها مما تسمعه في أفلام الكارتون، وانتظرت حتى ابتعدت عنَّا وقلت لليلى: - «والآن ما رأيك؟ ماذا سنفعل؟».

- «لا أعرف».

- «ألم أقل لكِ إن شادي سيورِّطنا في موضوعٍ غريب كالعادة».

- «معكِ حق، لكن ضعي نفسك مكانه. ماذا بإمكانه أن يفعل؟».

- «لا أعرف. المهم، كيف نجد طريقة لكي تعود بها «نينيت» إلى كوكبها البعيد؟».

قالت ليلى:

- «المشكلة الآن أنها لا تريد العودة، بل وترغب في أن تعيش هنا على كوكب الأرض».

اقتربت منّا غالية مرة أخرى، فصمتنا. ألحَّت غالية على ليلى أن تنهض لتلعب معها قليلًا، فاستجابت ليلى لها.

وأخذتُ أفكر فيما قالته لنا هذه الفتاة: حدث كل شيء بالخطأ. جاء والدها، وهو أحد المسؤولين عن مشاريع اكتشاف الفضاء الخارجي، إلى كوكب الأرض بالخطأ. كان المفترض أن يذهب إلى الكوكب الأخضر، كما يسمون الكوكب الذي كانوا يعيشون عليه، لكنه جاء إلى الأرض، واصطحبوا معهم شخصًا، تقول إن اسمه «مجداشي». ربما تقصد ماجد مثلًا أو مجدي؟ فنطقها للأسماء بشع وغريب.

المهم أن مجداشي هذا، عاش معهم على الكوكب الأخضر لفترة، ويبدو أنهم كانوا يرغبون في دراسة الجنس البشري، وعندما انتهت تجاربهم أعادوه إلى الأرض، لكن ما لا أستطيع فهمه هو كيف تمكنت هذه الفتاة الآلية من الاختباء في المركبة الفضائية التي جاءت إلى هنا كما تقول؟ الأمر كله غريب جدًّا.

المطلوب إذن أن نجد هذا الشخص الذي تبحث عنه، ثم نساعدها في العودة إلى الكوكب الأخضر. هذه مسألة أكبر بكثير من قدراتنا جميعا. ثم أين يمكن أن نجده؟ وهل يعيش في القاهرة؟ أم في الإسكندرية، أو ربما في أي بلد آخر، وإذا وجدناه، وفهمنا منه حقيقة ما حدث له على كوكبٍ غامض فماذا سنستفيد؟ وحتى لو تمكنَّا من العثور على ماجد أو مجداشي هذا، فهل سيقبل هو نفسه بوجود فتاة تعرَّف إليها في كوكبٍ آخر هنا على الأرض؟

كنتُ مستغرقة في التفكير، وإذا بي أسمع صرير باب الحديقة الخارجية، وقبل أن أستوعب المفاجأة وجدت نينت تقف في الحديقة. حركت رأسها المغطى بشعرها الطويل، وتوجهت نحوي بطريقة مشيتها الغريبة التي تشبه الآلة.

صرختُ من المفاجأة، وأنا ولا أصدق أنها تمكنتْ من الحضور إلى البيت. ركضتُ تجاهها، وطلبتُ منها أن تنصرف قبل أن تحدث مصيبة كبيرة، لكنها قالت لي إنها جاءت لتخبرني إنها ستبدأ في البحث عن مجداشي بمفردها، وأنها فقط لا تريد أن نفهم أنها هربت أو اختفت.

شعرتُ بحيرة شديدة، ووجدت شقيقتي غالية تترك ليلى وتقترب منَّا ركضًا، بينما وقفت ليلى كأنها تخشَّبت في مكانِها، مذهولة من حضور نينيت المفاجئ إلى المنزل. أشرتُ لغالية أن تبتعد، وطلبتُ منها أن تدخل البيت، لكنها طبعًا لم تفعل، بل اقتربت منَّا، وأخذت تتأمل الفتاة الآلية بابتسامةٍ خبيثة كشفَت الفجوتين في فمها الواقعتين مكان السنتين الأماميتين اللتين سقطتا قبل عدة أيام، ثم ألقت بنفسها في حضن نينيت كأنها تعرفها منذ زمن بعيد. وإزاء المفاجأة وقعت الأخيرة على ظهرها لأنها لم تتوقع حركة غالية المفاجئة.

ضحكت غالية ووقعت، وألقت بنفسها على الفتاة الآلية، التي لم تعرف ماذا تفعل. أخرجت جهازها الآلي من جيبها بسرعة وألقت عليه نظرة سريعة، ثم صاحت صيحة مَن فهم شيئًا لم يكن يفهمه، ثم راحت تدغدغ غالية التي واصلت الضحك بمرح هيستيري.

كان عليَّ أن أسيطر على الأمر، فلو عرفت غالية بأن هذه الفتاة كائنة فضائية، فلست أعرف إلى أين يمكن أن تسير الأمور. وهكذا، غمزتُ بعيني لليلى ففهمت إشارتي، وبصوتٍ عالٍ قالت: - «أنا ذاهبة الآن لشراء آيس كريم. فمن سيذهب معي؟».

وعلى الفور نهضت غالية من فوق الفتاة الآلية وركضت تجاه ليلى: - «أنا، أريد الذهاب معكِ. سنشتري آيس كريم بالمانجو؟ أليس كذلك».

مدّت ليلى يدها إليها وهي تبتسم قائلة:

- «هيا بنا».

تنفستُ بعمق، كأنني تخلصتُ من كابوس، وأمسكتُ بيد نينيت لكي أصحبها إلى الجزء الخلفي من الحديقة. جلسنا على الحشائش الخضراء الناعمة، قريبًا من شجرات الجوافة

التي تمتد بأغصانها إلى نافذة غرفتي في الطابق الثاني. قلت لها: - «ماذا حدث؟ لماذا أتيت إلى هنا؟».

- «عرفت أن صديقكم شادي يريد أن يساعد في إعادتي إلى كوكبنا».

- «وما المشكلة؟ لقد اتفقنا على ذلك».

- «لا، لن أعود. سأعيش هنا».

- «هنا؟».

- «هنا على كوكب الأرض. تعجبني حياتكم، وملابسكم، والضوء الساطع الجميل الذي يضيء كل شيء حولكم. أنا مللت الظلام المستمر في كوكبنا».

- «يبدو أنكِ أصبحتِ قادرة على الكلام مثلنا تقريبًا. ما هذا التطور؟».

هزت نينيت كتفيها وأطلقت ضحكة خافتة، ولم تعلق. فاستطردت أقول لها: - «ولكن هذا أمر خطير. نحن لا نعرف إذا كانت لديك القدرة على احتمال ظروف الحياة في كوكبنا. أنت تقولين إنكم ليس لديكم ضوء. فكيف ستتحملين الشمس عندنا؟ ثم أنت في النهاية لو عشت على الأرض، لا يمكن أن تكون حياتك مثل بقية أهل الأرض. أنتِ نصف كائن بشري ونصف آلة. أليس كذلك؟».

- «أرجوك عالية، حاولي أن تفهميني. لا يمكن أن أعود إلى الكوكب المعتم. يجب أن أرى مجداشي، وأن أرى كل الأشياء التي حكى لي عنها: النهر، والبحر، والمكتبات، وحدائق الحيوان، ودور السينما والمسارح. لقد أخبرني عن كل ذلك ووعدني أن يصحبني إليها. وأيضًا أريد أن أشاهد الناس في الأماكن التي يضحكون فيها».

- «يضحكون فيها؟ الناس تضحك في أي مكان».

- «لا، أخبرني مجداشي أن هناك أماكن مخصوصة للضحك».

فكرتُ قليلًا، ثم قلت لها:

- «هناك أماكن للترفيه. يعني لقضاء وقت مرح، مثل الملاهي، أو أشياء من هذا القبيل. هل تقصدين ذلك؟».

- «ربما، لا أعرف».

- «طيب، لو أمكنك أن تعيشي هنا، ماذا ستفعلين حين يأتي أهل كوكبكم لكي يعيدونك معهم؟ هل تعتقدين أن والدك سيسكت عندما يكتشف عدم وجودك. لا شك أنه سيبحث عنك».

- «سأختبئ هنا. لن يعرفوا مكاني».

- «يا إلهي! ما هذا العناد؟».

- «خبئيني في غرفتك لفترة صغيرة وسوف أغادر بعد ذلك دون مشاكل».

جاءني صوت أمي تنادي عليَّ، وتسأل عن غالية. فخفق قلبي، حتى أنني ارتجفت من المفاجأة.

- «ماذا سأفعل الآن».

- «أين غرفتك؟».

أشرتُ إلى أعلى حيث نافذة الغرفة، ففوجئت بنينيت، تنهض، ثم تتكئ على قدميها، وبقفزةٍ مباغتة قوية جدًّا، طارت أمامي حتى وجدتها جالسة على نافذتي. فعلت ذلك ببساطة شديدة، وراحت تشير لي بإلحاح أن أذهب إلى أمي.

الفصل السادس: رقصةُ الفَتاةِ الآليةِ

خرجت السيدة «راوية» إلى الحديقة لكي تبحث عن غالية، فأخبرتها عالية أنها ذهبت مع ليلى لشراء الآيس كريم، قالت الأم إنها اتفقت مع مجموعة من أمهات صديقات غالية أن يذهبن إلى السينما، وشعرت عالية بالارتياح، فقد أرادت أن تتخلص من كابوس وجود الفتاة الآلية في بيتهم. لم يكن قلق عالية يتعلق بوالدها لأنه كان مسافرًا في رحلة عمل، بل كانت قلقة من السيدة راوية، وبمجرد ظهور غالية وليلى، غمزت لليلى باتجاه الڤيلا، وسبقتها بعد أن ودَّعت أمها.

دخلت عالية وليلى الغرفة، ثم أسرعتا تجاه النافذة، وبمجرد أن فتحت عالية النافذة وجدا الفتاة الآلية، التي كانت مستندة بظهرها إلى النافذة، تسقط أمامهما على أرض الغرفة.

وضحكت ليلى. بينما كان التوتر يمنع عالية من أي إحساس بالمرح. ساعدت الفتاتان نينيت على النهوض، وقالت لها عالية: - «كيف أمكنكِ أن تقفزي كل هذه المسافة بهذه البساطة؟».

- «ألم أقل لكِ إننا نمتلك قدرات إضافية؛ لأننا نتكون من جزء آلي؟».

حكت عالية لليلى كيف قفزت الفتاة الآلية، بينما رفعت ليلى حاجبيها بدهشة، وأخذتا تتأملان الآلية معًا.

خلعت نينيت الجاكيت الأصفر، ثم خلعت التي شيرت، فصرخت الفتاتان معًا: - «ماذا تفعلي يا مجنونة؟».

- «أخلع ملابسي. أريدكما أن تعرفا شكلي الحقيقي. أنتما صديقتاي».

قالت ليلى:

- «لكن يعني هذا مُخجل قليلًا، لا يمكنك أن تتعري أمامنا هكذا».

لم تلتفت الفتاة الآلية لهما، واستكملت خلع ملابسها وصولًا إلى الحذاء الرياضي الضخم، ثم البنطلون، فبدت لهما مثل إنسان آلي معدني مطلي بالفضة. كانت هيئتها العامة تشبه الإنسان تمامًا؛ بذراعين وساقين وجذع. كأنه جسد فتاة نحيفة في الخامسة عشرة من عمرها.

وأخيرًا رفعت الشعر المستعار الذي تضعه على رأسها. كان لها وجه إنسان آلي، بعينين مغلقتين، وحين فتحت عينيها اكتشفت عالية وليلى أن عينيها صغيرتين ولكن جميلتين لأن لونهما أزرق، ولكنها عادت بسرعة لتخفي وجهها بوضع الشعر المستعار، وكانت كل من عالية وليلى تتأملانها بفضول، مصحوب ببعض الخوف.

قالت لهما الفتاة الآلية:

- «هل فهمتما الآن لماذا أريد أن أعيش هُنا في كوكب الأرض؟ نحن جميعًا لنا هذا الشكل. نمشي كأننا مجموعة من الكائنات المعدنية، لنا هذا اللون المعدني الفضي، ولو كان هذا شكلي أنا وحدي لما اهتممت، لكن نحن جميعًا في كوكبنا تقريبًا لنا نفس المظهر والشكل.

شيء مُمِّل. أريد أن أرتدي ملابس لها ألوان جميلة. هذا الجسد الذي ترونه الآن ليس جسدنا الحقيقي. لكنه الغطاء الذي نغطي به أجسامنا حتى نبدو متشابهين. ولا نخلعه أبدًا».

قالت ليلى:

- «غريب».

فقالت:

- «ألم أقل لكما؟».

قالت لها: «ماذا تقصدين؟».

فقالت: «كان عليَّ أن أفعل ذلك، لم أعد أحتمل الحياة هناك. إنه كوكب بارد جدًّا، لا نعرف فيه الشمس مثلكم، وفي الجو دائمًا نرى الضباب».

حاولتْ نينيت أن تشرح لهما أن الكائنات بمجرد أن تولد في الكوكب الأخضر، يتم نقلها إلى معسكرٍ كبيرٍ بحيث إن أهل الكوكب كله لا يعرفون لهم أبًا أو أمًّا، فكلهم «أشقاء الكوكب الأخضر» كما يقولون عن أنفسهم.

وعندما لمحت ملامح الدهشة على وجه ليلى وعالية، أوضحت لهما أن الشخص الذي تسميه أباها ليس والدها، ولكن أحد المشرفين على مركز التربية الجماعي الذي نشأت فيه. وأخبرتهم أنه يعد أبا لعدد كبير من أشقاء الكوكب الأخضر ممن زاملوها خلال فترة نشأتها.

قالت لهما إن المركز العلمي الكبير في الكوكب الأخضر، كان يبحث عن كائنات أخرى في الفضاء، وأن علماء الكوكب الأخضر اكتشفوا وجود كائنات تعيش في كوكب يعرف باسم «كوكب الأرض»، وأنهم أرادوا أن يتعرفوا على الكائنات الأرضية، فسافروا إلى الأرض بالفعل، وأحضروا كائنًا بشريًّا، لم يكن سوى الشخص المدعو مجداشي. وبالصدفة رأته

نينيت حين ذهبت لزيارة المركز العلمي كما تفعل كل فترة، وتعرفت إليه، وتعلمت منه بعض الكلمات التي فهمت منها بعد ذلك الكثير عن كوكب الأرض.

قالت لهما إنها أحبت أن تسافر إلى كوكب الأرض حين حكى لها مجداشي عن الشمس وفكرة أن لدى سكان الأرض ليلًا يعقبه نهار به ضوء ساطع، وأنها نجحت في التسلل إلى المركبة الفضائية التي جاءت لإعادته إلى الأرض.

عندما وصلت المركبة لكوكب الأرض وتوقفت تمامًا لإخراج مجداشي من المركبة بإشراف أحد أتباع فريق الكوكب الأخضر، لم تتمكن نينيت من الخروج من المركبة في البداية.

لكنها لم تيأس، فقد تسللت إلى منطقة التحكم في مركبة الفضاء، وقامت بالعبث في عدة أزرار كانت تعرف إنها تؤثر على الضغط الداخلي للمركبة؛ مما اضطر قائد المركبة إلى أن يصدر أمرًا بالتوقف مرة أخرى في منطقة نائية. وبسبب معرفتها بوسائل فتح الأبواب للطوارئ فعلت ذلك، وتمكنت من الهروب خارج المركبة، وظلت تتنقل من مكان إلى آخر حتى وصلت إلى مدينة الموتى.

قالت عالية:

- «طيب ولكن هل تعتقدين أنك يمكن أن تعيشي حياة طبيعية هنا؟ أنت تتحركين بطريقة غريبة، وتتحدثين بطريقة غريبة، وتخفين وجهك بشعرك وتضحكين مثل المجانين. وأهل الأرض كما تعلمين يعادون أي كائن يختلف عنهم، وهذا سيعرضك للخطر».

- «فكرتُ في الأمر كثيرًا، ونحن في كوكبنا بالفعل نعرف أن أهل الأرض لا يعادون الكائنات المختلفة عنهم فقط، بل يعادون أنفسهم. هذا الكوكب له سُمعة فضائية كبيرة، ويقال عنه إنه أخطر الكواكب، ليس لأنه يمثل خطرًا على أحد خارج الكوكب، بل بسبب حب أهله للحروب فيما بينهم، لكن لا تنسي يا عالية أنني أمتلك قدراتٍ قد تكون بالنسبة إليكم خارقة، وأنا لم أظهرها لكم لأنني لستُ مُضطرة إليها، لكنِّي لو واجهت أيَّ كائن خطر من

كائنات الأرض فيمكنني مثلًا أن أركض بسرعة تفوق قدراتكم، كما يمكنني أن أستخدم بعض القوة لو اضطررت إلى ذلك، لكني فقط أريد أن أعيش هنا ككائن عادي مثلكم تمامًا».

صمتت الفتيات جميعًا، فقالت نينيت بعد تردد:

- «كما أنني بصراحة.. أجريتُ..».

سألتها عالية بقلق:

- «أجريتِ ماذا؟».

- «أجريت.. لا أعرف ماذا تسمونها؟ عملية».

- «عملية ماذا؟».

- «أليس لديكم طبيب؟ هذه كلمة أظن اسمها جرَّاح».

قالت عالية:

- «هل تقصدين جراحة طبية؟».

- «نعم نعم، هذه هي الكلمة. جراحة. لقد غيرت شكلي قليلًا. أقصد أنني بالنسبة إلى أغلب سكان كوكبنا الآن مختلفة. أبدو شبهكم أنتم البشر فعلًا».

صمتت الفتيات مرة أخرى، فعادت نينيت تشرح لهما أنها كانت معجبة جدًّا بشكل مجداشي، وبالصور التي رأتها لأهل الأرض، وأنها احتفظت بالصور، وتوجهت إلى أحد المتخصصين في الجراحات وتأهيل المسافرين خارج الكوكب الأخضر لكي يجعل شكلها على هذا النحو.

ارتدت الآلية ملابسها، وعادت فتاة طبيعية ذات شعر ناعم أشقر ينسدل على وجهها ويخفي وجهًا يبدو جميلًا بالنسبة إلى البشر، حتى لو كان قناعًا.

قالت عالية بعد أن انتهت نينيت من كلامها:

- «إذن علينا أن نذهب إلى شادي الآن لكي نجد حلًّا لهذه المشكلة».

فصرخت الفتاة الآلية:

- «لا، لا، شادي لا».

قالت عالية مدهوشة:

- «لماذا؟ ماذا حدث؟».

- «يريدني أن أسافر معه في الزمن لكي أعود إلى الكوكب الأخضر. إنه لا يفهم أن السفر في الزمن لن يخرج بنا من كوكبكم. شادي لا يفهم شيئًا، سوف يذهب بي إلى أزمنة أخرى. لا أريد إلا أن أعيش في زمنكم هذا».

راحت ليلى وعالية تنظر كل منهما إلى الأخرى، وبدت على وجهيهما ملامح الحيرة.

قالت الفتاة الآلية:

- «أريد منكما فقط مساعدتي في البحث عن مجداشي، وحين نجده سوف أودعكما إلى الأبد، فأنا لا أريد أن أسبب لكما أي مشكلات أو مضايقات».

قالت عالية:

- «وحتى لو وجدناه هل تعتقدين أنه سيقبل فكرة استمرار حياتك هنا على الأرض؟».

- «لا أعرف. إذا لم يرغب مجداشي في وجودي هنا، عندها سأرى كيف يمكن أن أتصرف. ربما أبحث عن بلد آخر غير بلادكم يمكن أن يقبلني فيها أهلها».

ثم صمتت للحظة، وقبل أن تعلق عليها أي منهما قالت: - «والآن أرجوكما، أريد أن أستمع إلى هذه الأصوات الجميلة التي تسمونها موسيقى».

ابتسمت ليلى وعالية معًا، ثم اتجهت عالية إلى جهاز الكاسيت الخاص بها، وضغطت زر تشغيل الأسطوانات، وحين ارتفع صوت الموسيقى فجأة بدأت الفتاة الآلية تهتزُّ بجسدها وتحركه في كافة الاتجاهات بشكل عشوائي غريب، مما دفع ليلى وعالية إلى الضحك بقوة، لكنهما سرعان ما انضما إليها لكي يشجعانها على الاستمرار في الرقصة التي أسموها «رقصة الفتاة الآلية».

الفصل السابع: عودةُ الرجُلِ الذِّئبِ!

بالرغم من القلق الذي شعرت به عالية خوفًا من انكشاف أمر الفتاة الآلية، فإنها استغرقت في الضحك والمرح مع نينيت وليلى.

وبعد أن هدأن قليلًا حاولت الفتاة الآلية أن تحكي لهما عن الكوكب الأخضر وحياة أشقاء الكوكب الأخضر، وعندما انتهت راحت هي تسأل كلًّا من عالية وليلى عن المدرسة والأصدقاء، وطبيعة حياة الأسرة في البيت، وعلاقاتهما بوالديهما.

كانت الحكايات المشتركة تجعل كل واحدة منهن تتخيل حياتها بشكل مختلف. ليلى تتصور حياتها في الكوكب الأخضر الغامض، الذي يتشابه جميع سكانه، وحيث التقدم المذهل يجعل كل ما تعيشه هنا على الأرض لا معنى له في كوكب مثل الكوكب الأخضر، وكذلك الأمر بالنسبة إلى عالية التي كانت ترى أن الحياة في كوكب لا يعرف الضوء أمر مخيف وغريب. أما «نينيت» فقالت لهما إنّها على العكس منهما ليست في حاجة إلى أن تتخيل أي شيء؛ لأنها حقّقت حلمها بالفعل، وهي الآن تعيش على كوكب الأرض الغريب.

أخذت ليلى وعالية تتحدثان قليلًا حول ما أخبرتهما به الآلية، حتى سمعا نداء هامسًا يأتي من صوب النافذة.

- «لوشو.. لوشو..».

خفق قلب عالية بعنف، ليس فقط لأنها عرفت أنه صوت شادي في الحديقة، لكن كذلك لمعرفتها أن وجود شادي قد يصيب الفتاة الآلية بالذعر؛ لعدم رغبتها للعودة إلى كوكبها، فهي لا تريد إلا أن تجد صديقها مجداشي.

وللحظة أصابها الجمود، لكن صوت ليلى جاءها هامسًا: - «أليس هذا صوت شاا....؟».

فقفزت عالية إلى حيث تقف ليلى، ووضعت يدها على فمها لكي تمنعها من نطق اسم شادي.

وكانت الفتاة الآلية قد غافلها النعاس، وراحت في النوم فلم تنتبه. أشارت عالية لصديقتها أن تصمت، وهمست لها أنها ستخرج لترى الأمر.

في الحديقة وأسفل النافذة كالعادة وجدت شادي يقف متوترًا وهو يقول لها: - «لا بدَّ أن تأتي معي الآن إلى مدينة الموتى».

- «ماذا؟ الآن؟ لماذا؟».

- «هل تذكرين الرجل الذئب؟».

- «أي رجل ذئب؟».

- «الرجل الذئب يا عالية.. الرجل الذي عاد بنا من زمن الفراعنة إلى هنا مرة أخرى».

- «ماذا به؟».

- «إنه موجود في «مدينة الموتى»».

- «حقًّا؟!!! هذا الرجل اللطيف هنا؟ غير معقول؟ كيف عاد إلينا مرة أخرى؟ هل أعجبته الحياة في زمننا هو أيضًا وقرر أن يأتي ليعيش معنا؟».

- «هو لم يعد إلى عصر الفراعنة منذ تركنا هنا. لكنه، كما تذكرين، أراد أن يتعرف على أشياء عديدة مما وصلنا إليه في هذا الزمن قبل أن يَعود إلى زمانه في عصر الفراعنة، ويبدو الآن أنه انتهى من جولته، ويريد أن يودعنا».

تذكَّرتْ عالية الكثير من الطرائف والمغامرات التي مرَّت بها خلال رحلتها مع شادي في الزمن إلى عصر الفراعنة وقالت: - «لقد افتقدت هذا الرجل الطريف بالفعل، ولكن بصراحة، لا أستطيع أن آتي معك، فليلى موجودة معي، ولن يمكنني أن أتركها هنا».

- «ولكن الأمر ضروري يا عالية، فالرجل الذئب وعدني بأنه سوف يساعدنا في البحث عن الفتاة الآلية».

- «أي فتاة آلية؟».

- «نينيت».

- «نينيت؟! هل تسخرين مني؟».

- «لماذا أسخر منك؟ إنها موجودة هنا . إنها في الغرفة الآن مع ليلى».

صرخ شادي:

- «هنا؟ أين؟ كيف جاءت إلى هنا؟ أنا أبحث عنها طوال اليوم».

- «أخفض صوتك. بصراحة أنت السبب في هذا الموقف أساساً، فقد هربت الفتاة من «مدينة الموتى» لأنك تريد أن تسافر معها في الزمن، وهي تقول إنها لا تريد إلا أن تلتقي مجداشي صديقها».

- «ولماذا لم تخبريني بأنها هنا من قبل؟ لقد بحثت عنها في كل مكان».

- «تصوَّرت أنك ستفهم أنها ستأتي إلى هنا».

- «لا أعرف من هو مجداشي هذا الذي تبحث عنه؟ عليها أن تفهم أن ظروف الحياة هنا مختلفة. يجب أن تعود إلى كوكبهم، لا يمكن لها أن تعيش هنا».

- «وماذا سنفعل إذن؟».

- «لقد أخبرت الرجل الذئب عن الأمر، وقال لي إنه يمكن أن يساعدنا. علينا أن نذهب إليه».

- «ماذا تقترح إذن؟ هل نذهب أنا وأنت إليه الآن؟».

- «لا أعرف؟».

- «ألا يمكن أن نؤجل هذا اللقاء إلى الغد؟ سنحاول أن نأتي إليكما في الصباح الباكر».

- «حسنًا، ولكن لا تتأخري أرجوكِ».

الفصل الثامن: فضائيَّةٌ فرعونيةٌ

في اليوم التالي، وبعد الكثير من التفكير في أفضل وسيلة يمكن لنا بها الخروج من البيت بصحبة الفتاة الآلية من دون أن يشعر أحد، وصلنا أخيرًا إلى «مدينة الموتى». وفي المكان الخاص بشادي رفضت نينيت أن تدخل.

قالت:

- «شاني يريدني أبتعد من هنا».

ضحكتُ وأنا أصوِّب لها اسمه قائلة:

- «اسمه شادي يا نينيت».

اقتربتْ منِّي، وهي تضع يدها على أذنها؛ مقلِّدة ليلى حين تتصنع أنها لا تسمع جيدًا، ثم قالت: - «تشاوني، تشادي، لا يهم. المهم لن أدخل».

حاولنا إقناعها بضرورة الذهاب معنا، وراحت ليلى تساعدني في توضيح أهمية وجود الرجل الذئب، وكيف أنه شخص موثوق به سوف يساعد في الوصول إلى مجداشي، فضحكت بسعادة وبدأت تتحرك لكي تدخل إلى المكان، لكنها كالعادة نسيت أن تنحني في أثناء دخولها من الباب الصغير فارتطم رأسها.

وهتفت بالطريقة التي كانت سمعتها من غالية أختي: - «أووووبسي!».

فضحكنا ونحن نساعدها للدخول بالطريقة الصحيحة.

* * *

تقدم شادي يرحب بنا، لكن نينيت أدارت له ظهرها. فأوضحت له أنها لا تزال متوجسة منه، وسألتُه عن الرجل الذئب: وقبل أن يجيب أحسستُ بيدٍ تربِّت على كتفي، والتفتُّ خلفي فوجدت الرجل الذئب. كان يضع قناع الذئب كعادته، وفور أن نظرت إليه قال لها: - «إيه أيتها الفرعونة الصغيرة! ألا زلتِ تضحكين على كلامي مثل صديقك شادي؟».

ضحكتُ وعانقته وقلت:

- «افتقدناك كثيرا أيها الرجل الطيب».

عرَّفتُ ليلى إليه، وكانت تنظر إليه بذهول، وأحسستُ أن جسدها يرتعش فسألتها: - «ليلى! ماذا بك؟».

لكن ليلى لم تُجِبْ. تجمَّدت ملامح وجهها من شدة الخوف، وأحسستُ أن وجهها أصبح خاليًا من الدم فجأة.

أمسكتُ بذراعها، وابتعدتُ بها قليلًا، وكانت تمشي بصعوبة. تخشَّبت خطوات قدميها.

رحت أهدئها وأخبرها أن الرجل الذئب رجلٌ طيب، وذكّرتُها بما حكيت لها عن رحلتي مع شادي إلى زمن الفراعنة، ولكنها ظلّت ترتجف، وأخيرًا وبصوت واهن قالت: - «أريد أن أذهب من هنا الآن».

ويبدو أن الرجل الذئب فهم ما يحدث فخلع القناع من على رأسه. فرأيت رجلًا وسيم الملامح، أصلع الشعر، أو لعله حلق شعر رأسه، لكنه أطلق شاربًا نحيفًا صغيرًا، ولحية صغيرة تكمل الدائرة حول فمه. تمامًا كما كان شكله حين رأيناه في زمن الفراعنة.

قلت لليلى:

- «انظري، هذا هو شكله الحقيقي».

لكنها لم تلتفت إليه أو إليَّ، وظلت جامدة، لا تتحرك ولا تنطق.

فراح الرجل الذئب يتمتم بكلمات غريبة، بصوته المبحوح، وبلغته الهيروغليفية التي ذكَّرتني بالكثير من الأحداث التي مرَّت بنا هناك، لكن يبدو أن لهذه التعويذة أثرًا سحريًّا، فقد استعادت ليلى، بعد مرور عدة دقائق، هدوءها، واستردَّت حالتها الطبيعية.

بدأت بعد ذلك محاولات شرح هذه القصة لنينيت التي يبدو أنها لم تفهم منها شيئًا، لكنها أخذت تهز رأسها وهي تنظر باتجاه الرجل الذئب بريبة.

سأل الرجل الذئب:

- «هل هذه هي صديقتكم التي تريدون أن نساعدها في الوصول إلى كوكبها البعيد؟».

فأومأنا له أنا وشادي.

قال:

- «ولكن كيف يمكن أن نعرف مكان هذا الكوكب البعيد؟».

قال شادي:

- «هذه هي المشكلة، والأهم أنها ترفض الذهاب إلى كوكبهم وتريد أن تعيش هنا».

قال الرجل الذئب:

- «اسألاها إذا ما كان لديها الرغبة في الذهاب إلى زمن الفراعنة فهذه ستكون مهمة أسهل بالنسبة إليَّ».

اقتربت منه نينيت فجأة ومدَّت يدها وأمسكت بقناعه، ثم خلعت شعرها المستعار ثم وضعت القناع على وجهها، ووضعت شعرها المستعار أعلاه.

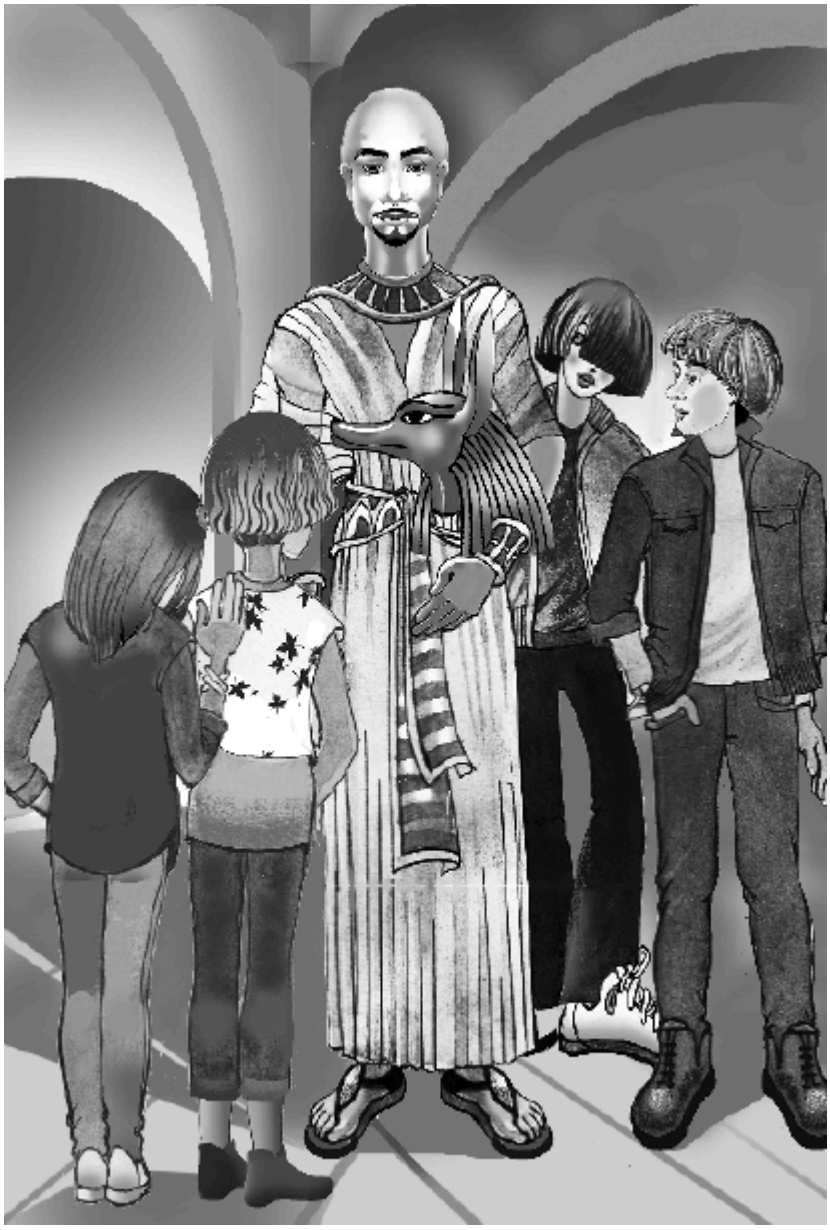

وما إن رأيت شكلها الجديد حتى صرخت: - «إيه! نينيت! ماذا تفعلين؟».

فأخذت تتأملنا ببرود، فانطلقت ضحكاتٌ صاخبة منَّا جميعًا، وحتى ليلى التي كانت لا تزال تُعاني من بعض الخوف بدأت تضحك.

وبدأ الرجل الذئب يتأملها ويضحك ثم قال لها: - «أنتِ هكذا أصبحت فضائية فرعونية».

عدنا نضحك جميعا، لكن نينيت اقتربت منه وسألته: - هل يمكن أن تخبرني اسم أختك؟

نظر لها بدهشة، ونظر للجميع ثم ابتسم قائلا: - اسم أختي هو «نانو».

فهتفت هي:

- جميل! ومن الآن فصاعدا لا تنادوني إلا نانو!

الفصل التاسع: البحثُ عن مجداشي

بعد أن قام الرجل الذئب ببعض الطقوس والتمتمة بتعويذات سحرية، واستخدام الخرائط التي يحتفظ بها، ثم تأمل السماء والنجوم، وغيرها من التفاصيل، عاد إلى مجموعة الأصدقاء قائلًا:

- «يبدو أن هناك سوء فهم».

استفسر شادي منه عمَّا يقصد، فأوضح لهم أن الشخص الذي تبحث عنه الفتاة الآلية لا يعيش في مصر من الأساس، وأنه من بلد إفريقي آخر، وأن اسمه بالفعل مجداشي.

وفوجئ الجميع بما توصل إليه الرجل الذئب؛ فسأله شادي إذا ما كان بإمكانه معرفة أو تحديد اسم البلد بالضبط. قال:

- «أظنكم تسمون هذه البلد كينجيا.. أو كينجا».

تعجب الأصدقاء من الاسم الذي لم يكن أي منهم قد سمع به من قبل، لكن شادي الذي أخذ يستدعي أسماء البلاد التي يعرفها من قارة إفريقيا، سأله في دهشة:

- «تقصد كينيا؟!».

هزَّ الرجل الذئب رأسه موافقًا على ما قاله شادي.

لكن الفتاة الآلية لم تفهم ما قاله الرجل الذئب فشرح شادي لها، بينما ظل السؤال الذي لم يجد له الجميع إجابة: لماذا أتت الفتاة الآلية إلى مصر بدلًا من كينيا، وهل كان يعيش في كينيا حين جاء رجال الكوكب الأخضر وأخذوه من هناك، أم جاؤوا إلى مصر؟

وطلب الرجل الذئب أن يمنحوه فرصة لكي يحاول أن يجد إجابة لأسئلتهم، لكن عالية كانت ترى أن الفتاة الآلية هي التي يمكن أن تفيدهم.

وهكذا خرجت عالية مع الفتاة الآلية خارج غرفة شادي لتستفسر منها أولًا عن مجداشي.

قالت الفتاة الآلية، بعد معاناة من محاولات التذكر وتحويل أفكارها إلى كلمات مفهومة إن مجداشي فتى أسمر، بالفعل، وله شعر مشعث إفريقي، وأنه كان يحكي كثيرًا عن الغابات والأنهار والحيوانات.

لكن نينيت لم تتمكن من أن تشرح السبب الذي جعل مركبة الفضاء التي عادت من الكوكب الأخضر تصل إلى مصر بدلًا من كينيا.

سألتها عالية:

- «هل قطعتِ رحلة طويلة مثلًا هنا على كوكب الأرض قبل أن تصلي إلى مدينة الموتى؟».

قالت إنها لم تَعُدْ تذكر، وقالت إن لديها القدرة على القفز بقوة لمسافات طويلة، وأنها لا تشعر بالتعب مثلما يشعر به أهل الأرض، ولذلك لا تستطيع أن تحدد هل جاءت إلى مصر بالخطأ أم لا.

وهكذا أحس الجميع في النهاية أن ما تقوله نينيت لا يفيدهم في شيء. لم يفهموا مما قالته شيئًا. أو يعرفوا كيف وصلت إلى مدينة الموتى.

راح الرجل الذئب يمشي في المكان، جيئة وذهابًا، وعلى وجهه ملامح تفكير عميق ثم اقترب منهم أخيرًا قائلًا لهم:

- «أعتقد أننا يجب أن نذهب بهذه الفتاة إلى كينيا، ولكن حتى لو وصلنا إلى هناك فكيف لنا أن نجد شخصًا يُدعى مجداشي كان قد ذهب إلى رحلة في الفضاء وعاد إلى كينيا؟».

لم يُجب عليه أحد. فعاد يقول بعد تفكير:

- «حسب معلوماتي فلكي نسافر إلى كينيا يجب أن نسير على طول وادي النيل من هنا حتى حدود السودان في الجنوب، ثم نعبر كامل السودان، ونعبر إلى أوغندا ومنها إلى كينيا».

فقال شادي:

- «أعتقد أن أوغندا تجاور كينيا، ولكن لها حدود مع السودان».

قال الرجل الذئب:

- «ربما، أنا لا زلتُ أتعلم منكم موضوع الخرائط الغريب الذي قسَّمتم به البلاد والعالم كله».

قال شادي:

- «نحن مجرد صبية وفتيات صغار، نحن وُلدنا فوجدنا كل شيء كما تراه أنت الآن. الكبار هم من فعلوا كل ذلك، والكثير من هذا الذي فعله الكبار في العالم لا نفهم منه شيئًا بعد. أنا شخصيًّا أقرأ التاريخ لكي أفهم كيف ولماذا تم تقسيم العالم بهذا الشكل».

هزَّ الرجل الذئب رأسه متفهمًا، لكن الوجوم بدا واضحًا في النهاية على ملامح كلٍّ من عالية وليلى لأنهما أدركا صعوبة الأمر، حتى نينيت أحسَّت أن الجميع يشعرون بأن الأمر صعب جدًّا فقالت:

- «إذن ما رأيكم أن نبحث عن مجداشي هنا بدلًا من البحث عنه في كينيا؟ أليس هذا أفضل كثيرًا».

توجهت عالية إليها بخطوات بطيئة وتوقفت أمامها، ثم حدَّقت إلى عينيها وهي ترسم ملامح متجهِّمة، بينما بدأت ليلى في الضحك، الذي انتقل إلى الجميع فورًا، وبدأت نينيت على الفور فقرتها الراقصة التي كانت تُزيد من ضحك الجميع.

الفصل العاشر: سِباقٌ مع الزمنِ!

لو كان بإمكان أحد أن يرانا لما صدَّق ما يرى، كنَّا نسابق الزمن تقريبًا، وقد ركبنا في العربة الفرعونية التي يقودها الرجل الذئب، والذي أخذ يتمتم في أذن حصانه بالتعويذة السحرية، ليبدأ في العدو كأن الريح تركض بجواره ويريد أن يسبقها. تشبَّثنا أنا وليلى ونينيت بعضنا ببعض، بينما كان شادي يجلس قريبًا من الرجل الذئب وشعر رأسه يطير عاليًا، يكاد لا يصدق السرعة التي نتحرك بها، إذ كان العالم من حولنا بلا ملامح؛ تمامًا كما يكون شأننا حين نركب قطارًا سريعًا جدًّا. كنت قد جرَّبتُ هذه التجربة من قبل، حين عدنا أنا وشادي من زمن الفراعنة إلى زمننا هذا، فلم أدهش كثيرًا، على عكس ليلى التي كانت تصرخ سائلة كيف يمتلك مثل هذا الفرس كل هذه القوة؟

أظلمت الدنيا فجأة، كأننا دخلنا في نفقٍ معتم، ليس به إضاءة من أي نوع، وأحسسنا جميعًا بالبرد، انقطع صوت قرقعة أقدام الفرس السريعة، وبدأ ضجيج من أصواتٍ غريبة، كأنَّها خليط

من صوت أمواج البحر والرياح وهدير المحركات معًا، يدوِّي في آذاننا.

لم أتمكن من معرفة مصدر الصوت الصاخب الذي سرعان ما بدا كأنه صوت محرك طائرة نفاثة عملاقة. شعرتُ بالفزع، ووجدتُ ليلى تُمسك بيدي في الظلام. كانت يدها شديدة البرودة، وشعرتُ بها ترتجف، ثم بدأنا نسمع أصوات فرقعات غريبة، كان قلبي ينخلع كلما سمعت واحدة منها. صرخت ليلى وبكت، وحاولتُ أن أتماسك رغم خوفي الشديد. لم أسمع صوتًا لشادي أو لنينيت، وحتى الرجل الذئب لم يقل كلمة، وحتى لو تكلَّموا فمن يمكن له أن يسمع أي شيء آخر بين هذا الصخب المرعب؟! وأغشي علينا جميعًا، ففقدنا الوعي، بما فينا الفتاة الآلية، ولم نستيقظ إلا حين شعرنا فجأة بالحرارة الشديدة أعلى رؤوسنا.

فتحت عينيَّ، ولم أفهم للحظات أو أذكر ما مرَّ بنا، وبعد قليل تذكرت صوت الدوي الذي كنت أسمعه قبل أن يغشى عليَّ فأصابني هلع. تأملت من مكاني لون السماء الصافية،

وحدقت إلى الشمس فكادت من شدِّتها أن تصيبني بالعمى، فأغلقت عيني. نهضتُ وتأملتُ ما حولي فوجدتُ عربة الرجل الذئب تقفُ في غابة شديدة الجمال، كان اللون الأخضر يُحيط بنا من كل اتجاه.

أخبرتني ليلى أنها تريد أن تعترف لي بسرٍّ؛ نظرت إليها بفضول فقالت لي إنها رغم كل ما حكيتُ لها عن زيارتنا أنا وشادي لزمن الفراعنة، ولقائنا بالرجل الذئب، والسيدة آمونيت التي استقبلتنا وضيَّفتنا في بيتها، وابنتها تيتي، والسيدة حنوت سين، التي احتجزتني في بيتها، كانت تعتقد أنها مجرد حكاية خرقاء اتفقنا أنا وشادي على إقناعها بها.

أعتقد أنني لو كنت في مكان ليلى لما صدَّقت حكاية كهذه، لكن أيضًا أنا لا يمكنني اختلاق قصة كهذه من خيالي. قلت لها إنني قدَّمتُ إليها وصفًا دقيقًا لكل ما رأيتُه هناك: الهرم الذهبي، ومنزل آمونيت، وتيتي، والغرفة التي عزلتني فيها حنوت سين ليلة كاملة، والبركة التي رأينا فيها التمساح الذي أوشك أن يلتهم شادي، وحتى منزل إيمي الصديقة التي استعانت بي لإنقاذ صديقها آبيب.

قالت وهي تنظر تجاه الرجل الذئب: «الآن أصدِّقك يا عالية، أنا آسفة جدًّا. أنا كلما رأيتُ هذا الرجل الذئب أشعر بالذهول».

رحنا نتأمل المكان حولنا مدهوشين. كان اللون الأخضر يحيط بنا من كل الاتجاهات، وعلى امتداد البصر، رأينا جبلًا أخضر، أيضًا؛ لأنه كان مزروعًا بالشجيرات والأعشاب.

التفتُّ إلى يميني فرأيتُ مجموعة من الأشجار الفارعة لم أرَ مثلها من قبل. كانت هذه الأشجار العملاقة؛ بسبب طولها الشاهق، تبدو كأنها بنايات عالية لها أغصان وأوراق شجر، وكان ضوء الشمس يمرُّ من بينها فيبدو الضوء المُتخلِّل منها مشابهًا لخط الضوء المنبعث من آلة عرض السينما، حين كنت أراقبه وأنا صغيرة عندما نذهب إلى السينما.

استيقظ الجميع، وكان شادي أول من هبط من العربة، ومن بعده وجدنا نينيت تقفز على الأرض، ولكنها بطّأت من حركتها بشكل غريب وهي في الهواء، فبدت كأنها كائنة في فيلم سينمائي يُعرض بالحركة البطيئة.

قالت ليلى: «يبدو أن نانو لن تتوقف عن إدهاشنا بحركاتها العجيبة».

ضحكنا، رغم إحساسنا بالتوتر، وعندما وقفت نينيت على الأرض، وسمعت أصوات ضحكنا، ألقت بنفسها على الأرض، وأخذت تقلِّد أصوات ضحكاتنا وهي تتقلب مثل المجانين، بينما راح الرجل الذئب يُراقبها مدهوشًا، من دون أن يتوقَّف عن الابتسام.

اكتشفنا أننا جميعًا لا نحمل هواتفنا معنا، هل فقدناها خلال الرحلة بسبب السرعة الجنونية التي تندفع بها عربة الرجل الذئب؟ أم أننا نسيناها قبل بدء الرحلة؟ وشعرتُ بحزنٍ شديد أننا لن نتمكن من تصوير هذا الجمال الساحر.

كان الجو رطبًا ولكن ليس حارًّا، وكان صوت طيور بعيدة يأتينا بين آنٍ وآخر، وقال لنا الرجل الذئب إننا يجب أن نقترب من منطقة الأشجار حتى نفهم أين نحن، فربما رأينا بعض سُكَّان المكان ليساعدونا.

اقتربنا من منطقة الأشجار. كانت الأرض مكدسة بأوراق الشجر، يطغى عليها اللون الأصفر، بينما شاعت في أجواء المكان من حولنا روائح عطور زهرية.

الأشجار الطويلة كانت جذوعها نحيفة، وخشب الشجر يبدو قديمًا، وبه شقوق عديدة، وكنت أنظر إلى أعلى فأرى بين أوراق الشجر المتداخلة ضوء الشمس كأنه مصابيح ضوئية تومِض حسب حركة أغصان الشجر العالية، بفعل الهواء الخفيف الذي كان يُحيط بنا.

كانت الطيور تصمت كلما تعالت أصواتُ خطواتِنا وهي تُخرفش على أوراق الشجر، التي بدت لي كأنها سجادة كبيرة جدًّا تغطي أرض هذه الغابة.

وفجأةً سمعنا صوتًا جعلنا نتوقف جميعًا، حتى الرجل الذئب، الذي أشار لنا بيده أن نمتنع تمامًا عن أي حركة. لا أعرف كيف أشرح هذا الصوت. بدا كأنه قرع طبل ضخم.

سمعنا الصوت عاليًا وصاخبًا.

دوب!

مرة واحدة، وتوقف ثم سرعان ما عاد مرة أخرى.

دوب. دوب. دوب. دوب.

ورأيت شادي ينظر خلفنا ثم يصرخ:

- «اهربواااااا..».

الفصل الحادي عشر: سيوفٌ مِنَ العاجِ

نظر الجميع إلى حيث أشار، لكنهم، تقريبًا أصيبوا بالشلل ولم يتمكَّنوا من الحركة. هُيِّئ إليهم أن جبلًا صغيرًا يتحرك تجاههم ببطء، لم يفهم أحد كيف يمكن لجبلٍ كهذا أن يتحرك، ويُصدر أصواتًا كهذه.

عندما اقترب الجبل من مجموعة الأصدقاء، لاحظت عالية أولًا كما لاحظوا جميعًا، أن للجبل نابين كبيرين كأنهما سيفين من العاج، وهكذا بدأ الجميع يُدركون أنهم في مواجهة فيل ضخم جدًّا، بل لعله «ماموث» مما كانوا يسمعون عنه في الحكايات أو يشاهدونه في الأفلام، وكلَّما اقترب منهم بخطوات أقدامه الضخمة اهتزت الأرض تحت أقدامهم؛ كأن زلزالًا يضرب الأرض بهذه الضربات السريعة المتزامنة مع صوت الطرقات المتتابعة.

أخذ الرجل الذئب يشد أيدي الأصدقاء الأربعة، واحدًا بعد الآخر، لكي يُبعدهم عن مسار الفيل الجبلي الضخم؛ لأنهم تمسمروا في أماكنهم مثل التماثيل من شدَّة الرعب والمفاجأة، لكنهم أخيرًا أفاقوا من ذهولهم ورعبهم، وابتعدوا هاربين إلى حيث أشار لهم الرجل الذئب.

لكن نينيت ظلت واقفة مكانها، وهي تنظر إلى الماموث، ثم بعد أن أصبح قريبًا منها جدًّا، قفزت قفزة من قفزاتها الرائعة، عاليًا في الهواء، ثم بدأت حركتها تصبح بطيئة، وهي تتشقلب في الهواء، ثم انقلبت أخيرًا لتهبط على ظهر الماموث وهي تصيح صيحة عجيبة: - «هياااااااايااااااايااااااا».

لكن الماموث فاجأها برفع خرطومه الأنفي عاليًا، وأحاط جسدها ممسكًا به، ثم أخذ يدور بها في الهواء قليلًا، وهنا انطلق الرجل الذئب راكضًا وهو يُتمتم تمتمات غريبة حتى وصل إلى الماموث، وأشار بيده عدَّة إشارات فوجدنا نينيت على الأرض.

وقبل أن يُسرع إليها أيٌّ منهم لإنقاذها فوجئوا بشخص أسمر البشرة، يرتدي «شورت» أبيض وفانلة بيضاء، وتعلو رأسه كومة كبيرة من الشعر الأسود المجعد، وله ملامح وسيمة، وهو يهبط من على جبهة الماموث، ويتزحلق على «الزلّومة» (خرطوم الفيل)، ثم يسقط على الأرض. وبمجرد سقوطه نهض ورفع يده محييًا، لكنه ما إن بدأ يتكلم حتى فوجئ الجميع بأنهم لا يفهمون كلمة مما يقول.

اقترب شادي من نينيت وهي على الأرض، وهمس لها ببعض الكلمات التي لم نسمعها، فأخرجت جهازها الآلي من جيبها، وأخذت تبحث فيه ثم بدأت تقول: - «هاباري جاني».

فرد عليها الفتى الأسمر قائلًا:

- «هاباري جاني. وي ويني ناني؟ (مرحبا من أين أنتم؟)».

أخذت نينيت تنظر إلى جهازها وقالت له:

- «سي سي تو كوتوكا ميسري. (نحن جئنا من مصر)».

فسألها مدهوشًا:

- «ميسري؟ كاريبوكاريبو. (مصر؟ أهلًا وسهلًا)».

- «جينا لاكو ناني؟ (ما اسمك؟)».

- «كويندي».

نظرت نينيت إلى ليلى وعالية وشادي والرجل الذئب ثم شرحت لهم قائلة: - «أنا أتكلم معه باللغة السواحيلي، اسمه كويندي، وهو يرحب بكم عندما عرف أنكم من مصر. سمعتموه وهو يقول: ميسري؟ كاريبوكاريبو».

لوَّحوا جميعًا لكويندي، وطلبوا من نينيت أن تشرح له أسباب مجيئنا إلى كينيا.

اقتربت نينيت من كويندي، وأخذت تتحدث معه، وهو يرد عليها، وبدا لهم في بعض الأحيان كأنه لم يفهم ما تقول، لكنه بعد لحظات يصرخ قائلًا: إيييييييي. إيييي، ثم يأخذ في الثرثرة بصوت عالٍ، وهو يشير إلى جهة الجبل الأخضر البعيد.

بعد انتهاء الحوار العجيب بين كويندي ونينيت، ظلت مُطرقة إلى الأرض قليلًا، ثم عادت تجاه المجموعة وهي تمشي ببطء، ثم تجاوزت الجميع، وذهبت مباشرة إلى الرجل الذئب وهمست في أذنه بكلمات لم نسمع منها شيئًا.

علَت الدهشةُ ملامح الرجل الذئب، وسرعان ما بدا عليه الغضب، وتوجه صوب العربة السحرية التي أقلَّت المجموعة إلى هذا المكان، حتى أصبح في مواجهة الفرس السحري الأسود العجيب، وأخذ يتكلم معه بغضب. وظل الفرس ينظر إليه بهدوء، فعاد الرجل الذئب يصرخ به مرة أخرى وهو يُشير بيديه ويرفع ذراعيه في أثناء كلامه.

وفجأة قفز الفرس واقفًا على قدميه الخلفيتين حتى يتهيَّأ لمن يرى المشهد أن العربة ستنقلب هي الأخرى، وظل يُحمحم ويصهل في غضب شديد، وهو يحرك ساقيه الأماميتين المرفوعتين في الهواء بغضب.

تأمله الرجل الذئب قليلًا، ثم وضع يده على صدره كأنه يعتذر له، ويبدو أنه طالبه بالهدوء وإنزال ساقيه الأماميتين. إذ إن الفرس هبط أخيرًا على الأرض، وإن بدا غاضبًا. كما راح يضرب الأرض بقدمه اليمنى.

اقترب الرجل الذئب منهم في بطء، وبدا عليه الارتباك، وبعد فترة من الصمت قال: - «يبدو أننا وقعنا في مأزق».

سأله شادي بقلق:

- «أي مأزق؟ ماذا حدث؟».

- «الحقيقة أننا وصلنا إلى كينيا بالفعل. لكن المشكلة أننا أخطأنا الزمن».

هتفت عالية صارخة:

- «لاااااا، مرة أخرى؟ ماذا تقصد بأننا أخطأنا الزمن؟».

- «لقد وصلنا كينيا في العام ٢١٣٠».

فصرخت ليلى:

- «كيف حدث ذلك؟ هذا يعني أننا لا يمكن أن نجد مجداشي».

قال الرجل الذئب:

يبدو أن الفرس الخاص بي أخطأ التقدير، وقد عاتبته لكنه غاضب مني وقال إنني حمَّسته أكثر مما ينبغي، وأنه ليس مسؤولًا عن هذا الخطأ.

حلَّ الوجوم والصمت على الجميع. استعادت عالية فورًا مشاعر الفزع والقلق، أما ليلى فقد اصفَّر وجهُها من الخوف. كانت عالية تفكر في أنها جرَّبت مثل هذا الأمر من قبل، لكنها كانت تخشى ألا يتمكنوا من العودة في الزمن الصحيح، هذه المرَّة، وعادت إليها كل المخاوف التي انتابتها حين وجدت نفسها يومًا أمام الهرم الأكبر وحيدة في صحراء مصر الفرعونية.

الفصل الثاني عشر: نعومي ذات الشعر الأزرق

قال شادي إننا، رغم كل شيء، لا يمكن أن نفوِّت فرصة كهذه، وأنَّ علينا أن نذهب إلى العاصمة نيروبي لكي نرى كيف صارت أحوالها بعد أكثر من مائة عام من زمنها الحقيقي الذي نعرفه.

تحدثت نينيت قليلًا بالسواحيلي مع كويندي ثم قالت لنا: - «انظروا، يقول كويندي إنه يرحب بكم في منزله أولًا لكي تأكلوا شيئًا، ويخبركم أنه مستعد لصحبتكم إلى نيروبي لكي تشاهدوا المدينة التي تعد من أحدث دول إفريقيا في الوقت الحالي، كما يقول إنه ربما يمكن أن يساعدكم بالوصول إلى أحد أحفاد مجداشي».

نظرنا جميعًا إلى نينيت، ثم قالت لها ليلى:

- «نانو يا حبيبتي، إذا كنا قد جئنا هنا لكي نجد مجداشي إما ليساعدك أساسًا في البقاء هنا معه، أو في إقناعك بالعودة إلى الكوكب الأخضر، فماذا سنفعل بأحفاده وهم بالتأكيد لا يعرفونك، وربما حتى لا يعرفون جدَّهم مجداشي نفسه».

راحت الفتاة تنظر إلى ليلى، ثم هرشت في رأسها قليلًا، قالت: - «حقًّا؟ هل ترين ذلك؟ لكن يبدو أن معك حق بالفعل.. ماذا سنفعل بأحفاد مجداشي؟».

ثم قالت:

- «حسنًا، لكن على الأقل دعونا نتعرف على هذه المدينة الحديثة ثم نرى بعدها كيف سنتصرف».

قالت ليلى بارتباك:

- «نحن ليس لدينا وقت لذلك كله، يجب أن نعود إلى زمننا بسرعة. أمي ستقتلني».

شعرت بالخوف فجأة، لكن كلمات الرجل الذئب جاءت لتغمرني بالشعور بالهدوء: - «ليلى وعالية لا تخافا. سأتدبر أنا هذا الأمر».

وبدأنا الرحلة وقد انقسمنا إلى قسمين، ذهبتُ أنا وعالية مع الرجل الذئب في عربته السحرية، بينما فضَّل شادي ونينيت أن يركبا فوق ظهر الجبل. أقصد الماموث.

صعد شادي، متسلقا خرطوم أنف الماموث وتوقف عند جبهته، فأخذ الماموث يدفعه من الخلف، بطرف خرطومه الذي بدا مثل ذراع تُربت على ظهره، ليواصل الصعود حتى وصل إلى أعلى جبهة الماموث الضخمة، ثم انتقل يركض على ظهره وهو يلوِّح لنا ويقفز وهو لا يصدق نفسه، ثم قررت نينيت أن تصعد بطريقتها الخاصة فقفزت قفزنها الهوائية وسقطت في النهاية على ظهر الفيل، وبعدها صعد كويندي كأنه يتسلق شجرة، ثم أمسك به الفيل بخرطومه ووضعه على رأسه.

بدأ الفرس السحري يتحرك بنا بعد حوارٍ قصير دار بينه وبين الرجل الذئب. وفوجئنا بعد فترة من السير الهادئ بظهور مجموعة من الغزلان ذات اللون الأصفر الفاقع، كانت تراقبنا من بعيد من دون أن تتحرك، وسرعان ما عادت لتلعب بعضها مع بعض، أو تتناول الحشائش من الأرض، وبعد قليل وجدنا عددًا من الأسود الذين توقفوا لمشاهدتنا، ثم بدؤوا يركضون حولنا فجأة، وصرخنا أنا وليلى بصوت عالٍ، من شدة الرعب، بينما الرجل الذئب يراقب الأسود بهدوء شديد، ويبتسم.

وكان الماموث أمامنا قد بدأ يُسرع من خطواته؛ مما جعلنا نشعر أننا نسير خلف مجموعة من القنابل التي تتفجر بالتتابع، بسبب صوت أقدامه المرعب كلما ارتطمت بالأرض. وكنت أشعر باهتزازات خفيفة للأشجار القريبة منا.

ومن بعيد لاحت لنا أخيرًا مجموعة من البيوت الصغيرة المحاطة بسياج خشبي أنيق، ورأينا عددًا من الفتيان الذين يرتدون شورت وتي شيرت، أما الفتيات فكن يرتدين فساتين ملونة جميلة.

استقبلنا الأطفال والشباب برقصةٍ جميلة، اشتركوا فيها جميعًا، وأدَّوها ببراعة كأنهم فريق راقص مدرب، وكان اثنان منهم، يرتدي كل منهم «شورت» أحمر به مربعات سوداء، وقميصًا أبيض، يصنعون بعضهما مع بعض ما يُشبه مروحة بشرية، إذ يقفز واحد منهما على يديه، لكي يدور في الهواء، فيمسك به الآخر من خصره، ويساعده في الدوران، وقبل أن يصل إلى الأرض يكون الثاني في الهواء والآخر قد وصل إلى الأرض وأمسك بصديقه وهكذا.

صفَّقت نينيت بحرارةٍ، وهي تقفز مثل المجنونة؛ تعبيرًا عن إعجابِها بهذه الرقصة، حتى أنها من شدة الانفعال أخذت تقلدهما، فاقتربا منها وحملاها، ثم رفعاها إلى الأعلى، ولكنها فاجأتهما بتبطيء حركتها في الهواء؛ ففتح الجميع أفواههم مدهوشين، وحين أسقطت نفسها على الأرض راح الجميع يركضون تجاهها، ويدورون حولها، لكي يتأملوا هذه الكائنة الغريبة التي تخفي ملامح وجهها بشعرها، وتؤدي حركات غريبة، وتتوقف في الهواء كأنها ساحرة لها قوى خارقة.

اقتربت فتاتان في نحو العاشرة من عمريهما، إحداهما شعرها القصير الناعم لونه أزرق، وضعت حول رأسها حزامًا ملونًا، ترتدي فستانًا قصيرًا من «الجينز» الأزرق بحمالتين، وأسفله كانت ترتدي تي شيرت أبيض، يكشف عن ذراعيها السمراوين، أما الفتاة الأخرى فشعرها أسود طويل ومجعد وترتدي فستانًا أحمر طويلًا جميلًا. وكلتاهما سمراوان. وملامح وجهيهما جميلة، ومنمقة.

توجهت ذات الرداء الأحمر والشعر الأسود الطويل المُجعد من نينيت، بينما اقتربت الأخرى، ذات الفستان الأزرق والشعر الأزرق القصير، وعرفتنا بنفسها قائلة إن اسمها «نعومي»، وكانت تتحدث بالإنجليزية.

صافحناها، ثم قمت بتعريفها بأسمائنا جميعًا؛ فرحبت بنا.

سألها شادي قائلًا:

- «أنتِ تتحدثين الإنجليزية؟».

- «نعم، أغلبنا هنا يتحدث الإنجليزية».

- «ولكن كويندي كان يتحدث بالسواحيلية معنا».

ضحكت نعومي وقالت:

- «نعم، فهو يعتز باللغة القديمة لأهل كينيا، وهناك بعض الأفراد في كثير من القبائل رفضوا أن يتعلموا أو يتكلموا لغة أخرى غير السواحيلية، لكن الأغلبية في كينيا يعرفون الآن أكثر

من لغة».

سألتنا عن البلد الذي جئنا منه فأخبرتها فهتفت: - «مصر! رائع».

ثم وجدناها تتحدث بالعربية:

- «أنتم من مصر؟».

نظرنا إليها بدهشة وسألتها ليلى:

- «ما هذا؟ أنت تتحدثين العربية؟».

- «طبعًا، طبعًا، أخبرتكم أننا في كينيا الآن نعرف العديد من اللغات، لكن كينيا منذ زمن بعيد يعيش بها بعض العرب. نحن قريبون من تنزانيا، وكان العرب، أو تحديدًا العمانيون، يحكمون جزءًا منها يعرف بزنجبار، وقد وفد إليها وإلينا بالتالي الكثير من العرب. انظروا إلى صديقتي ذات الرداء الأحمر هناك؛ اسمها «دليلة»، أعتقد أنكم تعرفون هذا الاسم؟ وهناك أسماء عربية كثيرة للفتيات هنا، هذه الفتاة هناك مثلًا أيضًا اسمها «فِكرا»، ولدينا أسماء مثل: «هدية» و«حسينة» و«حَوّا».

ابتسمنا وأبدينا دهشتنا، ثم سمعنا صيحات صاخبة فجأة، فنظرنا تجاه مصدرها، ووجدنا نينيت تقوم بإحدى قفزاتها الغريبة، ثم تسقط على الأرض وتضحك، وبجوارها وقفت «نعومي» ذات الفستان الأزرق، بينما راحت مجموعة من الفتيات الصغيرات يلقين بأنفسهن عليها وهن يضحكن في صخب.

الفصل الثالث عشر: اختلافاتٌ زمنيةٌ

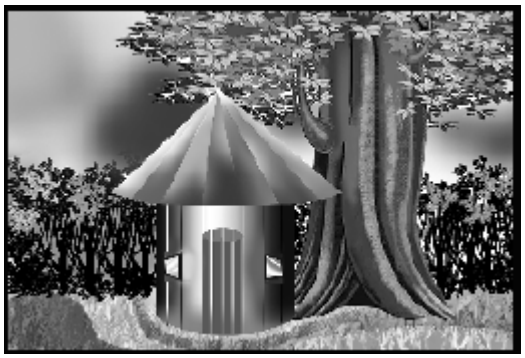

بعد أن تناولوا الطعام في كوخ عائلة دليلة؛ وشربوا العصائر، حكى شادي قصة وأسباب وجود المجموعة في كينيا، ولم تتمكن كل من الفتاتين ذاتي الرداء الأحمر دليلة، أو ذات الرداء الأزرق نعومي، وصديقهما كويندي من تصديق ما حكاه شادي عن سبب وجودهم في كينيا، وقدومهم من زمن آخر.

أما حين عرفوا أن نينيت كائنة من الفضاء، تحولت دهشتهم إلى نوع من الذهول.

قالت نعومي: «أنتم قادمون من زمن بعيد».

قال شادي: «ليس بعيدًا جدًّا على أي حال».

وغمزت له عالية لكيلا يحكي لهما شيئًا عن الرجل الذئب، وفهم إشارتها وهزَّ رأسه.

قالت نعومي:

- في زمنكم هذا الذي جئتم منه إلينا، كانت كينيا دولة فيها فروق كبيرة جدًّا بين الأغنياء والفقراء، وكانت أوضاع المرأة سيئة لدينا، إلى درجة أن بعض النساء ذهبن إلى قرية أسموها «أوجوما» وعشن فيها، وأسسن مجتمعًا نسائيًّا، لا تعيش فيه سوى النساء

والأطفال، وحتى العاصمة نيروبي والمدن الكبيرة رغم أنها كانت بدأت تعرف الحداثة، لكنها كانت تمتلئ بأحياء عشوائية وزحام وقلة نظافة في مناطق كثيرة. هكذا حكت لي جدتي التي توفيت العام الماضي، وعمرها مئة عامٍ، لكن الآن أصبحت نيروبي مثلًا مدينة عالمية كبيرة جدًّا وحديثة جدًّا. لو قمتم بزيارتها فلن تصدقوا ما تشاهدونه، لكن البعض من أهلنا فضل الحياة النظيفة هنا في القرية، فالقرى الآن كما ترون نظيفة، وتتوفر فيها بيوت جميلة، والحياة فيها هادئة.

قال شادي: «هل لي أن أعرف عمرك؟».

قالت نعومي مبتسمة: «لماذا؟».

شادي: «مجرد فضول».

فقالت:

- «عمري الآن ١١ عامًا».

- «فقط؟ لقد تحدثتِ بشكل أوحى لي أنكِ أكبر كثيرًا من عمرك».

فكرّت نعومي قليلًا ثم قالت:

- «ألستم قادمين إلينا من زمن مختلف؟ ربما بسبب التقدم أصبح هناك طفرة في معرفة الإنسان في عمر صغير نسبيًّا عن الماضي، ولهذا تصورتم أن عمري أكبر مما تخيلتم».

هزَّ شادي رأسه وهو يفكر في كلامها.

قالت دليلة:

- «نحن نسمع عن مصر الآن باعتبارها بلدًا حديثة جدًّا أيضًا. فكيف هي أحوالها في الزمن الذي جئتم منه؟».

راحت عالية وليلى تخبرانها عما يعرفانه عن حياتهما اليومية، وكانت الفتاتان مدهوشتين من أشياء مثل: الزحام وفوضى السير في الطرقات، وغياب الأرض الزراعية بسبب زيادة العمارة والبناء عليها، والغبار الذي يغطي المدينة القديمة، وسعيدتين من أشياء أخرى مثل الآثار المبهرة التي تشبه المعجزات، والمتاحف العديدة، والمسارح والمدن الجديدة المتطورة.

قال كويندي:

- «هناك الآن مصريون كثيرون يعيشون في نيروبي، لا بدَّ أن أذهب لزيارة مصر يومًا».

سألتهم نعومي:

- «والآن ماذا تفضلون أن تفعلوا؟ هل تحبون بالفعل أن نبحث عن أي آثار لصديق نينيت مجداشي، أم تفضلون زيارة نيروبي؟».

صمت الجميع ثم تحدث الرجل الذئب أخيرًا قائلًا: - «ربما الأفضل أن نجد أثرًا لمجداشي، فليس لدينا الكثير من الوقت لنضيعه».

قال شادي:

- «إذن سأذهب أنا إلى نيروبي ولتذهبوا أنتم للبحث عن مجداشي وألحق بكم. لا أحتاج سوى زيارة سريعة».

قالت عالية:

- «ها قد بدأنا يا شادي».

- «بدأنا ماذا؟».

- «بدأنا القصص الغريبة. ننفصل بعضنا عن بعض، ولا يعرف فريق منا مصير الفريق الآخر. دعنا لا نضيع الوقت، ونبحث عن مجداشي أو نعود من حيث جئنا».

نظر شادي إلى ليلى والرجل الذئب كأنه يستغيث بهما، لكن الرجل الذئب أشاح بوجهه، كأنه لا يريد أن يتدخل بينهما، أما ليلى فكانت تشعر بالتعب ولا تستطيع التفكير؛ فجلست على الأرض، ثم قالت: - «أعتقد أننا بالفعل نضيع وقتنا بلا جدوى، وأفضل ما نفعله الآن هو العودة إلى بيوتنا».

كانت نينيت تُتابع الحديث بصمت، ولم تتدخل، وكذلك فعلت الفتاتان نعومي ودليلة التي أخذت تلعب في خصلات شعرها الأسود الطويل بارتباك، ثم قالت لتخفيف التوتر: - «في كل الأحوال أنتم ضيوف كينيا، ويجب على الأقل أن تقوموا بزيارة المدينة العاصمة. سوف نصحبكم إلى هناك جميعًا لو رغبتم، وغدًا تقررون إما العودة وإما البقاء معنا قليلًا حتى نصل إلى أفضل قرار».

أيّد شادي الفكرة واقترب من عالية وليلى ثم قال لهما: - «أنا أعتقد أن ما تقوله دليلة هو عين الصواب، ولو فكرنا في الموضوع قليلًا، نحن الآن في كينيا، حتى لو كنا وصلنا إلى الزمن الخطأ، ولو وصلنا إلى شيء له علاقة بمجداشي فربما أمكننا الوصول إليه في الزمن الحقيقي بشكل أسهل».

وقبل أن ترد عالية التي لم يَبْدُ عليها الاقتناع قالت نينيت: - «نعم، أظن هذه فكرة جيدة، سوف نذهب إلى نيروبي وقد نجد أحدًا من أحفاده، ويمكنني حينئذ حتى أن أعيش هنا مع الأحفاد».

وحلَّ الصمت على الجميع، وحين لم يأتِ أي ردٍّ على كلمات نينيت بدأت تضحك ضحكتها الغريبة، فراحوا جميعًا يضحكون بصخب.

في النهاية اقترح الرجل الذئب أن يقضوا الليلة في القرية على أن يبدؤوا رحلتهم إلى العاصمة نيروبي في الصباح الباكر وهكذا توزع الجميع، اصطحب الفتى كويندي كلًّا من شادي والرجل الذئب إلى البيت الذي يعيش فيه مع عائلته، بينما دعت دليلة ونعومي الفتيات الثلاث للمبيت في بيت عائلة نعومي.

الفصل الرابع عشر: أطلالٌ جيدي!

كان البيت الذي استضافتنا فيه نعومي، التي كانت تبهرني بلون شعرها الأزرق، جميلًا. بيتٌ ريفي واسع وأنيق، يحيط به سور مبني من الطوب، يضم عددًا من الأكواخ الصغيرة، كلها مبنية من الطوب، لكنها ظلت تحافظ على الطابع القديم للأكواخ الخشبية التي كانت تأخذ شكلًا دائريًّا أو أسطوانيًّا، كما شرحت لنا صديقتها دليلة، لكن البيوت كلها كانت ملوَّنة برسوم جميلة كأنها لوحات فنية معروضة على جدران دائرية.

قالت ليلى وهي تتأمل الغرفة التي رتبتها لنا الفتيات إنها لم تكن تتخيل أن قرية إفريقية يمكن أن تكون بهذا الجمال وهذه النظافة.

قلت لها: «لا تنسي أننا الآن في عام ٢١٣٠، ولو كنا زرنا كينيا في زمننا لكنا وجدنا مجموعة أكواخ خشبية غير نظيفة، ولكن حتى في زمننا هذا تعرف المدن الكبيرة في إفريقيا بالجمال والنظافة».

فكرت ليلى كيف أن مئة عام لا تؤثر كثيرًا في أن يفضل بعض الناس الحياة في الريف بجوار الأرض الزراعية، وبعيدًا عن المدن الحديثة.

ويبدو أن نعومي سمعتنا فقالت:

- «نحن نعرف من جدَّاتنا أن ظروف حياة الأجداد، خصوصًا في القرى والمناطق الريفية، كانت صعبة جدًّا، لكني أذكر أيضًا جدِّي الذي كان يقول لي أن إفريقيا ظلت بعيدة عن العالم، ولم يكن أحد يأتي إليها إلا ليصور مشاهد الفقراء والحروب. رغم أن هذه لم تكن كل الصورة».

قلت لها:

- «هذا كلام لو سمعه شادي لقال لكِ أنكِ أكبر من عمركِ مرة أخرى».

ابتسمت دليلة، وجاءت السيدة ماهيري والدة نعومي للترحيب بنا، وهي سيدة رشيقة ترتدي جلبابا ملونا بألوان زاهية، وشعرها يبدو مثل هالة فضية اللون تعلو رأسها، وتعلو شفتيها الممتلئتين ابتسامة جميلة. كانت تعتقد أننا جئنا للسياحة ولم تفهم طبعًا أننا قدمنا من زمن آخر.

ثم جاءت بعدها كيتو وليندشيا شقيقتا نعومي الصغيرتين، واللتين تشبهان نعومي كثيرا، لكنهما كانتا أقصر منها. وطبعًا اتجهتا على الفور بعد الترحيب بنا إلى نينيت؛ لأنهما كانا قد بادلاها المرح في الصباح حين وصلنا إلى القرية.

أخذت نينيت تلعب مع كيتو؛ القصيرة ذات الشعر الطويل الهائش الذي يجعلها تبدو مثل شجرة صغيرة لطيفة لها ابتسامة خجولة، وكيتو تضحك ضحكًا شديدًا كلما قامت «نانو»، كما كانوا ينادونها، بحركة من حركاتها المضحكة، بينما كانت ليندشيا النحيفة الطويلة التي ضفرت شعرها في ضفائر عديدة تراقبهما وهي تبتسم ابتسامة واسعة.

قالت لي ليلى: «يبدو أن نانو بالفعل لها موهبة في فهم الحياة البشرية. انظري كيف يتعلق بها الأطفال بسرعة».

لم تكن السيدة ماهيري تجيد العربية أو الإنجليزية، فأخذت نعومي ودليلة تترجمان لها ما نقوله، ثم تركتنا لنستريح. خرجنا من الغرفة إلى الشرفة وكان الجو جميلًا.

أوضحت لنا نعومي أن القرية تقع قريبًا من البحر. قالت: - «نحن نُعتبر قريبين جدًّا من المحيط الهادي، وأيضًا مدينة مومباسا أقرب إلينا كثيرًا من نيروبي؛ لأن مومباسا تطل على المحيط».

ثم كمن تذكرت شيئًا قالت لنا:

- «هل تحبون زيارة شيء غريب؟».

نظرنا أنا وليلى بعضنا إلى بعض، وهزت ليلى كتفيها قائلة: - «ولِمَ لا؟».

قالت نعومي:

- «توجد قريبًا منا منطقة أثرية اسمها «أطلال جيدي». مدينة مهجورة يقال إنها كانت مسكونة حتى القرن الثامن عشر، ثم اختفى أهلها فجأة ولا يعرف أحد سبب اختفائهم».

هتفت نينيت:

- «هذا مثير».

قالت ليلى:

- «لكن أليس من الأفضل تأجيل زيارة مدينة مهجورة إلى الصباح؟ لقد قارب اليوم أن ينتهي».

قالت دليلة:

- «نحن هنا في إفريقيا نفضل الحياة في الليل، بسبب الحر. صحيح أن الجو في كينيا جميل بسبب قربنا من مياه المحيط، لكن أهل إفريقيا يحبون الحياة ليلًا؛ نتمشى ونتسامر. سوف تستمتعون، وهناك الآن إضاءة صناعية حديثة تضيء المدينة».

وقبل أن أرد وجدنا نينيت تقفز وهي تقول لنا إنها ستنتحر لو لم نذهب معها إلى مدينة الأطلال، ثم أوقعت نفسها على الأرض، وتمددت على بطنها وبدأت تبكي.

اقتربت منها نعومي فاعتدلت نينيت وقالت ضاحكة: - «لا تهتمي بي، اهتمي بهاتين الفتاتين اللتين تخافان من الظلام».

ورغم توتري أنا وليلى بدأنا جميعًا في الضحك بصوت عالٍ، وكلما تذكرت تهديدها بالانتحار زاد ضحكي، من هذه الفتاة الغريبة التي تعرف عنا نحن البشر من سكان الأرض، كما تسمينا، تفاصيل كثيرة.

* * *

خرجنا من البيت ففاجأتنا نسمات هواء باردة. كان الهدوء يسود المكان، ولكن الأكواخ والبيوت كانت اغلبها مضاءة. رأينا مجموعة من المنصات الضخمة المرفوعة على أعمدة، فقالت لنا نعومي إنها بطاريات ضخمة تحوِّل أشعة الشمس إلى طاقةٍ شمسية. قالت لنا إن العالم الآن لم يعد يستخدم البترول في الطاقة، وتذكرتُ شادي. لو عرف بهذا الأمر فسوف ينشغل بالموضوع، وربما قرر زيارة محطات الطاقة الشمسية في كينيا.

خرجنا من باب السور إلى الطريق المرصوف بالأسفلت، ووجدنا الأسفلت يُشع بضوءٍ فوسفوري أزرق.

- «ما هذا؟».

تساءلنا معًا، ولم تفهم دليلة ونعومي سؤالنا، فأشرت إلى الطريق المضيء. فقالت نعومي: - «طريق ممهدة بالأسفلت، أليس لديكم مثلها؟».

قلت لها:

- «لا أسأل عن الأسفلت، بل عن الضوء. لماذا مضاء باللون الأزرق؟».

- «كل الطرق في كينيا الآن تُضاء هكذا في الليل. الطريق مزوَّد بخلايا تمتص الطاقة الشمسية بالنهار، وتُضاء في الليل».

- «رائع جدًّا! هذه فكرة عبقرية».

نظرتُ إلى ليلى التي كانت تتأمل الشارع الأزرق وهي لا تصدق. ثم قالت: - «هذا حل عبقري لإضاءةِ الطرق ليلًا».

هززتُ لها رأسي، بينما أتأمل المكان من حولي بانبهار.

كانت الحقول الممتلئة بالأشجار تحيط بنا من جانبي الطريق. سرنا متجاورين أنا وليلى ونينيت، وبدأت كل من نعومي ودليلة تغنيان أغنية جميلة، لها إيقاع سريع، لكن لم نفهم منها شيئًا.

سألتنا نينيت عما يفعلانه فقلنا لها إنهما تغنيان، فصمتت قليلًا، ثم أخرجت جهازها الآلي الغريب، وبعد قليل قالت لنا: - «هل تذكران حين سألتماني عن سبب إخفائي لوجهي بهذا الشعر؟».

صمتنا قليلًا ثم قالت ليلى:

- «نعم، وأذكر أنك أجبتِ إجابة غريبة لم نفهم منها شيئًا».

ضحكت وأنا أتذكر ما قالته نينيت آنذاك فقلت: - «نعم عن كونك لا ترغبين في أن تصبحي مشهورة».

ضحكت ليلى، فقالت نينيت:

- «لم أكن أفهم تمامًا معنى الغناء، ولكني رأيت في الإنترنت مغنية من كوكبكم تعيش في مكان اسمه أمريكا اسمها «سيا»، واكتشفت أنها تسدل قصة شعرها على وجهها حتى لا يتعرف عليها أحد لأنها لا تريد أن تكون مشهورة».

هتفت ليلى:

- «يا إلهي! هل تعرفين سيا؟».

فهزت نينيت رأسها بسعادة فقالت ليلى:

- «أنا لا أعرفها».

فضحكت.

أشارت لنا دليلة أن نقترب منهما وأن نغني معهما، فراحت نانو تقلدهما فخرج صوت غنائها غريبًا كأنه عواء كلب صغير يُحاول أن يُقلد أغنية.

وهنا انضمت إلينا دليلة ونعومي، ومن بعيد لمحنا أطلالًا لمبانٍ غريبة بدت لنا كأنها أشباح.

الفصل الخامس عشر: أشباحٌ أم أطلال!

دخلت الفتيات الخمس من بوابة حجرية ضخمة، محاطة بجذور شجرة عملاقة؛ جذور ضخمة جدًّا من شدة ضخامتها فإن ما يظهر منها فوق الأرض تجعل من يراها يظن أنها مجموعة من أذرع أخطبوط عملاق تمددت وتجمدت في هذا المكان.

كانت الشجرة وجذورها المدهشة تحيط بالبوابة، كأنها تحرسها، مما جعل عالية تتخيل أن هذه المدينة كانت موجودة تحت الأرض، ولهذا زُرعت فوقها هذه الشجرة الضخمة.

كانت البوابة شاهقة، ومع ذلك كانت الجذور ترتفع فوقها لتلتحم جميعًا بعد ذلك في جذع شجرة ضخم يرتفع عاليًا كأنه برج خشبي عملاق. وبلا مقدمات قامت نينيت بقفزة عالية جعلتها، في لحظة، تقف أعلى قمَّة البوابة، ثم أمالت نفسها قليلًا وقالت: - «أوه انظروا إليَّ، أنا الآن شجرة».

دخلت الفتيات في ممرٍ ترابي، ومن حولهن كانت هناك مجموعة من أسوار حجرية لأطلال وبقايا مبانٍ، وبدأت عالية وليلى تشعران ببعض الخوف. بدا لهما المكان كأحد الأماكن الأسطورية التي تعيش فيها الأشباح. كان الهدوء يَعُمُّ المكان، وباستثناء أصوات خطوات الفتيات لم تسمع أي منهن صوتًا لأي كائن حي آخر.

وفجأة سمعن صوتًا غريبًا فتوقفن جميعًا. نظرت الفتيات حولهن بحثًا عن مصدر الصوت، واقتربت ليلى من عالية وأمسكت بيدها. أخذت عالية تتأمل نعومي ودليلة، ولاحظت أنهما بالرغم من إحساسهما ببعض الدهشة لم يَبْدُ عليهما الخوف.

قالت نعومي:

- «آمباينيهمكو؟ (من هناك؟)».

لكن أحدًا لم يرد عليها فعادت تقول:

- «كونا مبتو هابا؟ (هل من أحد هنا؟)».

ولم يجب عليها أحد، لكن الأصوات التي كانوا يسمعونها لم تتوقف، فقالت لهن دليلة: - «يبدو أن المكان يجعلنا نتخيل أشياء وهمية. تعالوا من هنا. هذه المدينة جميلة جدًّا. في الحقيقة هي مدينة غريبة لنا في كينيا لأن البناء الحجري الضخم لم يكن معتادًا في هذه المناطق، ولكن الأغرب أن سِرَّ هذه المدينة لا يزال مجهولًا، حتى أن البعض يقول لا بدَّ أنهم كانوا كائنات فضائية».

فصرخت نينيت على الفور:

- «أوه، إذن أنا الآن في مملكة أجدادي الفضائيين؟ ربما لذلك أشعر بالراحة منذ دخلنا هذا المكان».

كان القلق والتوتر قد جعل كلًّا من ليلى وعالية لا يتفاعلان مع كلام نينيت، أو حتى الفتاتين الكينيتين دليلة ونعومي.

قالت ليلى بصوت هامس:

- «ألم يكن من الأفضل لنا أن نأتي لزيارة المكان في ضوء النهار؟ أظنه يستحق الزيارة في الصباح حتى نرى جماله الحقيقي».

قالت عالية:

- «صحيح. إنها الآن تبدو كأنها مدينة أشباح».

وفجأة سمعن صوتًا يأتي من خلف إحدى الأشجار القريبة، فقد كانت مدينة الأطلال تبدو كأنها غابة من الأشجار، زُرعت هذه المباني الضخمة بجوارها.

صرخت ليلى فصرخت عالية بسبب صراخها، بينما اختفت الآلية في الهواء، وساد التوتر بين الجميع.

لكن نينيت التي كانت قد قفزت في الهواء لتسقط خلف مصدر الصوت لتفاجئه، ارتطمت في فرع شجرة ضخمة من الأشجار القريبة منهن، فسقطت على الأرض، ولم تتحرك أو تنطق بكلمة، وقبل أن تتجه إليها دليلة، فوجئت بالفتاة الآلية وقد تمددت على بطنها وبدأت تزحف على الأرض مثل الحية، وهي تتجه إلى مصدر الصوت.

وقبل أن تصل إلى الشجرة التي صدر الصوت من خلفها، شاهدت الفتيات فجأة امرأة طويلة تغطي جسدها بوشاح أحمر، بينما ينسدل شعرها الطويل الهائش حول وجهها، وهي تقترب منهن بسرعة. فتوقفن ورحن يصرخن، لكن دليلة سرعان ما سيطرت على نفسها وطالبت الفتاتين بالصمت وعدم الخوف.

حاولت دليلة أن تتصدى للمرأة فتماسكت، وتوجهت إليها حتى تقطع عليها الطريق وهي تقول: - «وي ويني ناني؟ (من أنت؟)».

خففت السيدة ذات الوشاح الأحمر من سرعة خطواتها، لكنها لم تقل شيئًا فعادت دليلة تقول: - «أونتاكانينيكوتوكا كويتو؟ (ماذا تريدين منا؟)».

ولم تُجِب السيدة ذات الوشاح بكلمة إلا حين أصبحت تقف أمام دليلة مباشرة وحينها ابتسمت وسألت: - «من منكن تدعى نينيت؟».

كانت نينيت لا تزال تزحف على الأرض، في محاولة لمفاجأة السيدة ذات الوشاح، وحين سمعت اسمها نهضت من الأرض فجأة وقفزت لتقف بجوار دليلة، وقالت:

- «أنا نينيت. ولكن يمكنك أن تناديني نانو. تشرفنا».

ورغم الموقف الموتر ضحكت ليلى على نينيت، وحاولت أن تكتم الضحك.

قالت السيدة ذات الوشاح بلغة عربية سليمة:

- «جميل، أنا انتظركم منذ سنوات طويلة، وها أنتم قد جئتم أخيرًا».

أصابت الدهشة الفتيات جميعًا، وساد شعورهن بعدم الفهم، ولم تجدْ أي منهن في نفسها القدرة على أن تقول شيئًا.

اقتربت ليلى وعالية من نعومي، وحاولن أن يتعرفن على ملامح السيدة. كانت امرأة سمراء لها بشرة لامعة، وملامح وجهها جميلة، لكنَّ عينيها كانتا تلمعان ببريق غريب، وبالرغم من أنهن كن يشعرن أنها عجوز بسبب صوتها، لكن ملامحها منحتهن الإحساس بأنها شابة صغيرة.

جاءهن صوت السيدة مرة أخرى تقول:

- «اسمي كوانزا الساحرة».

همست عالية في أذن نعومي:

- «هل لا يزال لديكم ساحرات هنا؟».

ضحكت نعومي وقالت:

- «كل شخص في كينيا يظن نفسه ساحرًا».

ثم ضحكت وقالت:

- «أنا أمزح. لا أعرف. لم نسمع عن وجود ساحرات منذ زمن طويل».

قالت نينيت موجهة كلامها إلى كوانزا:

- «كيف عرفتِ اسمي؟ وكيف عرفتِ أننا سنأتي إلى هنا؟».

فردت كوانزا:

- «حتى لا أضيع وقتكن، تعالوا معي إلى المنزل، إنه قريب من هنا. سوف تعرفن كل شيء. لديَّ رسالة من مجداشي».

هتفت نينيت:

- «معقول؟ هل تعرفين مجداشي حقًّا؟».

ثم أخذت تحتضن كوانزا الساحرة التي اكتفت بالابتسام، ثم أدارت ظهرها لنينيت وبدأت تسير داخل أحراش مدينة الأطلال الغريبة.

نظرت الفتاة الآلية إلى الفتيات خلفها، وإلى دليلة بجوارها، وكنَّ جميعًا يشعرن بالتردد، لكنها شعرت أنه ليس بإمكانها أن تفوِّت الفرصة، فقالت: - «بإمكاني أن أذهب معها، وابقين أنتن هنا».

قالت نعومي:

- «لا يمكننا أن نتركك تذهبين وحدك يا نانو، أنا ودليلة نتحمل مسؤولية حمايتكن أنتن الثلاثة، ولو أردتُنَّ رأيي فليس هناك ما يخيف. لنذهب جميعًا».

فتبادلت كل من عالية وليلى النظر، ثم قررت كل منهن أن يذهبن ليعرفن سر هذه المرأة الغريبة.

الفصل السادس عشر: المرأةُ الشجرة

تقدمتنا الساحرة كوانزا؛ فسرنا خلفها في حذر. كان الوشاح الأحمر الذي ترتديه يبدو من الخلف مثل قناعٍ لشخص ينظر إلينا ضاحكًا، ولذلك شعرت أن الساحرة المدهشة هذه تستطيع أن ترانا حتى وهي تولي لنا ظهرها.

كنت أشعر بتوتر ليلى. فكنت أحتضن يدها، وأشدها برفق، بينما بدأت الساحرة تغني أغنية ويأتي صوتها عاليًا:

«مالايكا.. ناكيوبيندا مالايكا..

مالايكا..ناكيوبيندا مالايكا

نامي نيفانيجي..».

وفوجئنا بنينيت تقفز على الأرض وهي تصرخ قائلة وكأنها تكمل الأغنية:

- «كي جانا مينزيو..».

فتأملناها بدهشة، ونحن لا نفهم كيف تحفظ أغنية إفريقية كهذه لم نسمع عنها قبل ذلك.. فقالت:

- «هذه الأغنية كان مجداشي يغنيها كثيرًا».

فقالت دليلة:

- «هذه أغنية من التراث الشعبي، جدتي أيضًا كانت تغنيها، أشهر من غنَّاها في الزمن البعيد كانت مطربة من جنوب إفريقيا. اسمها ميريام ميكيبا».

وبدأت كوانزا الساحرة ترفع صوتها بالغناء أكثر، وفجأة حلّت على روحي حالة غريبة من الطمأنينة، وحين راحت دليلة ونعومي تغنيان مع الساحرة، شاركتهما نينيت الغناء، ووجدت نفسي أهمس معهن بالكلمات الغريبة، وأرفع صوتي تحديدًا في الكلمة الوحيدة المنطوقة والمفهومة بالنسبة إليَّ: «مالايكا».

كان صوت كوانزا يتردد مجلجلًا، لكن، وبينما نعبر بين الممرات الضيقة التي تفصل بين كل بناية من البنايات المهجورة الحجرية العتيقة، تهيَّأ لي أنني أسمع أصواتًا تردد الأغنية، وأحسست بجسدي يرتجف من شدة الخوف.

كان أمرًا مدهشًا بالنسبة إليَّ أن أجد نفسي في منطقةٍ ريفية زراعية بها مثل هذه المدينة الحجرية الضخمة الهائلة. ذكرني ذلك قليلًا بأجواء رحلتي مع شادي إلى مصر القديمة. تمنيت أن يكون شادي معنا في هذه اللحظات. سوف يُجنُّ حين يعلم بمغامرتنا هذه في صحبة الساحرة غريبة الأطوار. لاحظتُ أن كوانزا تسير من دون توقف، ولا تلتفت إلينا، وتمشي بخطوات ثابتة رشيقة، لا هي سريعة ولا بطيئة.

كانت مدينة واسعة، ويبدو أن سكانها كانوا أثرياء أو ملوكًا، ويمتلكون المهارة اللازمة لبناء أبنية حجرية ضخمة، كما قالت لي نعومي، وحين كنت أتأمل الأزقة الصغيرة التي تفصل بين بعض الأبنية أتذكر مغامرتنا أنا وشادي حين كنا نهرب من السيدة «حنوت سين» وجماعة العلماء الذين أرادوا أن يجعلونا مجالًا لاختباراتهم، قبل أن يتولى الرجل الذئب إنقاذنا.

وفجأة توقفت الساحرة كوانزا، وأخبرتنا أننا سوف ندخل إلى مدينة السحرة المعروفة باسم «مدينة الشجرة»، وقبل أن نسألها شيئًا بدأت تسير بخطوات سريعة، وكان الوجه

المرسوم على خلفية وشاحها ينظر إلينا بابتسامة واسعة، ولما لم يكن أمامنا أن نفعل أي شيء آخر فقد بدأنا نركض تقريبًا لكي يمكن لنا أن نلحق بها.

وفجأة بدأ الضوء يزداد تدريجيًّا واكتشفنا بعد خطوات أخرى أننا أمام ما لا أعرف كيف أصفه. رأينا أمامنا كوَّة واسعة كأنَّها مدخل كهف عملاق في بطن أحد الجبال، لكن لم تكن هناك أي جبال، بل شجرة ضخمة بدت ككائن أسطوري يفتح فمه الهائل ليبتلع كل ما يمرُّ أمامه.

حين اقتربنا أكثر اكتشفنا أن هذه الشجرة العملاقة لها جذع ضخم جدًّا يفوق في حجم متانته ديناصورًا عملاقًا، وكانت بعض أجزاء من جذورها تعلو الأرض فتبدو أكبر من قطار، أما على يمينها ويسارها فقد خرجت منها أنابيب خشبية ضخمة كأنها أنفاق خشبية.

عندما دخلت الساحرة في النفق بدت مثل نملة تدخل إلى نفق من الأنفاق التي نعرفها في مدينتنا في القاهرة.

الفصل السابع عشر: روبُوتات نَيْروبي

منذ انفصل الرجل الذئب وشادي عن الفتيات، لم يتوقف إحساس شادي بالفضول الشديد لزيارة مدينة نيروبي. كانت فكرة زيارة مدينة حديثة متقدمة مئة عام عن الحياة التي يعرفها مسألة لا تقبل التأجيل بالنسبة إليه.

قال للرجل الذئب:

- «أليس من الممكن أن نستخدم قدراتك السحرية ونذهب الآن لزيارة نيروبي؟ أشعر أنني لا أستطيع الانتظار حتى الصباح».

نظر إليه الرجل الذئب بدهشة، وقال له:

- «أنت تريد دائمًا أن تتسبب في المشاكل أيها الفرعون الصغير».

- «لماذا؟».

- «لا أحب أن ننفصل عن الفتيات، فليس لدينا وقت نضيعه في أمور ليس لها أهمية. انتظر عدَّة ساعات حتى تشرق الشمس، لنتحرك جميعًا معًا وننهي الأمور التي جئنا لأجلها».

التفت شادي إلى كويندي في يأس، ولم يعرف ماذا يقول له. فلم يكن كويندي يتقن لغات أخرى غير السواحيلية. كان كويندي قد رفع حاجبيه اللذين يشبهان نصفي قوسين صغيرين يعلوان عينيه الواسعتين، في دهشة؛ لأنه لم يفهم حوار شادي مع الرجل الذئب، ولكن شادي لم ييأس، فأخذ يتكلم معه بالإشارة وهو يردد كلمة نيروبي ويشير إلى الطريق في الخارج، ويبدو أن كويندي فهم ما يقوله شادي له، فأشار إلى السماء كأنه يقول له إن الدنيا الآن معتمة بسبب ظلام الليل، لكن شادي ظَلَّ يُحاول إقناعه بلا يأسٍ.

واستمرَّا على هذا الوضع أكثر من نصف ساعة. شادي يتكلم بالعربية والإنجليزية وهو يشير إلى الطريق، أو يجلس على الأرض ويرسم بأصابعه خارطة وهمية تشبه خارطة كينيا، ويشير إلى مكان نيروبي، والفتى الأسمر كويندي يرد عليه بنفس الحماس بالسواحيلية وهو يشير إلى السماء والمصابيح المعلقة في غرفته، ثم يذهب إلى النافذة ويطلب من شادي أن يأتي ليرى كيف أن السماء مظلمة.

وفي النهاية شعر الرجل الذئب بضيق التنفس من شدة الغيظ من هذه الثرثرة المستمرة التي كادت تقضي على أعصابه، ثم نهض قائلًا لشادي:

- «سأخرج لإقناع الفرس السحري أن يذهب بنا إلى نيروبي، ولكن حتى لو لم يسعفنا الوقت إلا لنصل ونعود فقط، فعليك أن تعرف أننا سنكون هنا قبل أن تشرق شمس الغد. مفهوم؟».

- «أيها الرجل الذئب العظيم. مفهوم طبعًا. مفهوم جدًّا».

وخلال الرحلة الأسطورية التي قطعتها عربة الرجل الذئب مصحوبة بالفرس الأسود السحري القوي، لم يتوقَّف شادي عن الضحك والصياح، كلما رأى ملامح الدهشة الشديدة والاستغراب على وجه كويندي بسبب السرعة الفائقة التي كانت العربة المدهشة تتحرك بها؛ إلى درجة أن الرجل الذئب نفسه تخلى عن إحساسه بالغضب وأخذ يضحك وهو يقول:

- «هوِّن عليك يا كويندي واستمتع بالرحلة».

كان أكثر ما يسبب الدهشة لكويندي هو ذلك الإحساس بأن الزمن الذي استغرقته الرحلة بين وقت ركوبهم العربة ووصولهم إلى نيروبي، لم يزد على إحساسه بالفترة التي يقضيها عادة بين دخول باب منزلهم ووصوله إلى غرفة نومه، وبسبب عدم وجود لغة مشتركة مفهومة بينه وبين شادي فقد ظلت محاولات شادي لشرح مسألة السفر في الزمن والسحر وقدرات الفرس السحري المبهرة عصيَّة على فهم كويندي.

لكن الجميع تناسَوْا هذا القدر الهائل من سوء الفهم بمجرد أن لاحت أنوار نيروبي التي بَدَتْ لهم من بعيد كفقاعة بلّورية شاسعة تتلألأ بالأنوار.

توقفوا في منطقة بها بيوت خشبية قديمة، لكن نظيفة. بعض طرقها المسفلتة مضاءة باللون الأزرق، وجدوا أن العربة تقف فوق جسر خشبي، بين بيتين خشبيْن. وقبل أن يفهموا طبيعة المكان الذي وصل إليه الفرس السحري الأسود. شعر شادي بملمسٍ دافئ ولزجٍ على قفاه؛ فتخشب من المفاجأة، ولكنه رأى ابتسامة واسعة على وجه كويندي، وقبل أن يتحرك وجد أمامه وجه زرافة طويلة لا يعرف من أين انشقَّت الأرض عنها.

كتم صرخة فزع أوشكت أن تخرج من فمه، لكنه قاوم رعبه، متشجعًا بضحكات كويندي، لكن الرجل الذئب الذي تلفت حوله بسرعة وأخذ يركض ذهابًا وجيئة، عاد ليقول له إنهم تقريبًا وصلوا إلى منطقة لا يعيش بها إلا الزراف.

لم يكن شادي قد شاهد الزرافة من قبل. إلا في الصور وبعض الفيديوهات المصورة؛ لذلك كان سعيدًا جدًّا أن يرى أمامه الآن زرافة حقيقية، تلعق رأسه في مودة، وتنظر إليه نظرة أحس منها أنها لا تخشى البشر.

تحدث كويندي بكلمات كثيرة لم يفهم منها شادي شيئًا، لكنه سيفهم لاحقًا بعد أن يلتقوا شخصًا آخر من سكان نيروبي، أنهم الآن في «مركز الزرافة»، الذي يعتبر من أقدم مراكز

تجمع الحيوانات في نيروبي.

وسيفهم أكثر هو والرجل الذئب أن نيروبي، التي أصبحت مدينة عالمية متقدمة، استخدمت كثافة السكان، مثلما فعلت الصين والهند قبل مئة عام، وأصبحت قوة اقتصادية كبيرة، ومدينة عالمية حديثة، لكنها ظلت تحافظ على البيئة وعلى وجود الحيوانات في تجمعات عرفت باسم حدائق الحيوان المفتوحة؛ حيث تسير الحيوانات كلها أمام البشر؛ مثل الأسود والزرافات والشمبانزي والحمار الوحشي، وحتى الأفيال.

ولولا ضيق الوقت لفكر شادي أن يمرَّ بكُلِّ شارع من شوارع نيروبي التي راح يتأملها مبهورًا؛ الجسور متعددة الطوابق، التي تؤدي إلى العمارات العالية، لكي تصعد بالعربات إلى الطوابق المختلفة، وعربات التلفريك التي أصبحت حلًّا لمشكلة المواصلات، وتخليص المدينة من زحام السيارات. وهي الآن أصبحت سريعة جدا أيضا.

لكنه، رغم كل مظاهر الحداثة التي يراها، كان مشغولًا بفكرة واحدة هي زيارة مقر المحطة الفضائية التي سمِع عنها في الصباح من إحدى الفتيات في القرية التي يَعيش فيها كويندي وأهله.

ورغم حِرص الرجل الذئب على أن يفعل كل ما يرغب فيه شادي كان يشعر -في الوقت نفسه- بالضيق لأنه ترك ليلى وعالية في تلك القرية البعيدة، ولم يستطع أن يزيح إحساسه بالندم.

لكنهم وصلوا أخيرًا إلى المدينة، بعد رحلة أخرى تشبه المغامرة شاهدوا فيها أسودًا وفيلة، وخراتيت، كلها تتحرك في حريَّة، ويبدو البشر بالنسبة إليها مألوفين، وحتى حين وصلوا إلى نيروبي، فوجئوا بأن العربات الحديثة، أحيانًا كانت تبطئ في سيرها بسبب مرور أسدين متجاورين يمشيان في هدوء كأنهما جاءا من الغابة لزيارة المدينة والتنزه فيها.

وذُهل شادي بسبب الحداثة الشديدة التي وَجدَ عليها نيروبي. كانت مدينة تشبه ما يراه في التلفاز في مدن مثل طوكيو أو سنغافورة، قبل مئة عام من زمن وجودهم في كينيا. شوارع واسعة، ومبانٍ شاهقة، وأبراج سكنية تكاد تجعل من يراها يتصور أنه في غابة من الأبراج التي تأخذ قممها هيئة قباب البناء الشهيرة كما شاهدوها في الريف، وكانت عربات التلفريك تتحرك بالعشرات؛ جيئة وذهابًا، في السماء.

رأوا الحافلات أنيقة وكبيرة، لكنها كلها تسير في طرقٍ مخصصة لها، وحين تقف ينفتح باب من كابينة زجاجية يقف فيها الركاب ويهبطون إلى الحافلة. واستنتج شادي من غياب رائحة العوادم أن السيارات تستخدم الطاقة الكهربية على الأغلب.

وعلى مسافة قريبة لاحظ شادي شابًّا صغيرًا في مثل عمرهم يُمسك في يده كتابًا إلكترونيا ضخمًا، ولاحظ أن غلاف الكتاب بالإنجليزية، فركض تجاهه، وعندما اقترب منه حيَّاه باللغة الإنجليزية، فردَّ الفتى عليه التحية.

كان الفتى طويلًا نحيفًا، شعره الطويل الأسود معقوص خلف رأسه في كتلة مهوَّشه ناعمة، وله ملامح وسيمة. تأمل الفتى شادي وقال له ضاحكًا:

- «مرحبًا ولكن لماذا أشعر كأنك شخص خارج من فيلم قديم؟».

ضحك شادي وهو يفكر بأن مظهره بالنسبة إلى شخص متقدم في الزمن مثل هذا الفتى لا بدَّ أن يبدو غريبًا، أو عتيقًا، بشكل أو آخر، لكنه قال للفتى:

- «أنا قادم من مصر، وعندي رغبة في زيارة محطة الفضاء الخاصة بكم».

كان الفتى، الذي عرَّف نفسه باسم «تشيندو»، يحمل جهازًا لقراءة الكتب، قال إنه يقرأ به كتابًا بالإنجليزية عن مصر الفرعونية؛ لذلك كانت سعادته لا توصف حين عرف أن شادي من مصر، وحين أوضح له أن الرجل الذئب قادم من زمن الفراعنة، كاد أن يغشى عليه، لكن أحدًا لم يفهم سرَّ ذهوله أهو من شدة الخوف أم من شدة السعادة.

تقدم الفتى من الرجل الذئب وهو يتأمله بانبهار، ومَدَّ إليه يده فصافحه الرجل الذئب، وأخبره أنهم يحتاجون إلى الذهاب إلى المكان الذي أخبره عنه شادي.

ظهرت ملامح الارتباك على وجه الفتى، ثم قال:

- «أتمنى أن أساعدكم، ولكن هذه مسألة صعبة».

سأله شادي متعجبًا:

- «لماذا؟».

تلفت تشيندو حوله في حذر، ثم اقترب من شادي وقال له بصوت هامس:

- «نحن نواجه أزمة كبيرة في هذه الأيام، ومحطة الفضاء الآن تعتبر من أخطر الأماكن».

- «أرجوك اشرح لي الأمر حتى أفهم».

- «حسنًا، لقد تطورت العلوم كثيرًا، كما تعرف، وقد تمكن العلماء من اختراع جيل جديد متطور من الروبوتات، وقد تم استخدام الروبوت في عدد من المهام مثل قيادة الحافلات، وتوجيه التلفريك، وأخيرًا بدأ المسؤولون عن محطات الفضاء في استخدام الإنسان الآلي في تجربة السفر في الفضاء. لكن يبدو أن المحطة أرسلت بعثة مكونة من ثلاثة روبوتات في رحلة سفر بعيدة، من هذا الجيل، وقد تبين أن هذه الروبوتات أصبح لديها قدرات تعلم ذاتي، ولفترة طويلة لم تنجح كل محاولات إدارة وكالة الفضاء الكينية من إيجاد هذه المركبة في الفضاء، وبعد فترة من الوقت بدأ المسؤولون يلاحظون تصرفات غريبة من الروبوتات المستخدمة في وكالة الفضاء، وقبل أن يدركوا ما حدث تبيَّن لهم أن الروبوتات الثلاثة بدءوا في التواصل مع الروبوتات الكينية بحيث يتم لهم السيطرة التامة على محطة الفضاء، والآن هناك نزاع قوي بين المسؤولين عن المحطة والروبوتات انتهت

بسيطرة الروبوتات على المحطة، ومنع المسؤولين أو أي كائن بشري من الاقتراب من المحطة».

أنصت شادي له مذهولًا، ثم هتف:

- «يا إلهي! هذا مثير جدًّا».

- «ولكن خطر جدًّا. هناك أخبار تقول إن مجموعة من «الروبوت»، أو «الآليون الأحرار» كما يسمون أنفسهم، يريدون أن يحكموا كينيا، وأن يجعلوا أهل كينيا وسكانها هم الذين يقومون بخدمة مخططهم لإدارة البلاد وليس العكس».

نادى الرجل الذئب على شادي، وأخبره بأنهم يجب أن يعودوا الآن إلى حيث توجد الفتيات؛ لأنه لن يسمح له بالمخاطرة بزيارة محطة فضاء يديرها مجموعة من الآليين، لا أحد يعرف فيم يفكرون أو طبيعة ما يخططون للقيام به.

لكن شادي كان يفكر في أنه يعيش لحظة فارقة وأمامه فرصة ذهبية لأن يرى آليين يديرون محطة فضائية. كانت الفكرة تهبط من عقله إلى روحه فتجعله يرى أنها مسألة لا يمكن له أن يفوِّتها بسهولة، فأدار وجهه، ثم ركض بأقصى سرعة، وسط ذهول الجميع وأولهم الرجل الذئب الذي راح ينادي عليه بغضب.

الفصل الثامن عشر: مدينةُ الشجرة

دخلنا «مدينة الشجرة» من أوسع أبوابها، كأننا دخلنا بطنَ حوتٍ يتَّسع لابتلاع مدينة. شجرة واحدة تتَّسع لكي تبتلع مدينة. يا إلهي! كنا نتأمل السقف البعيد العالي فلا نرى شيئًا، بسبب الارتفاع الشاهق، ومن حولنا كان خشب الشجرة العتيق يحيط بنا.

أخبرتنا الساحرة كوانزا أن «مدينة الشجرة» هذه تضم ثلاث مدن داخلها، وكانت الأولى التي دخلناها عبارة عن بيوت صغيرة خشبية محفورة في الجدار الداخلي للشجرة الأم، وأمامنا وجدنا شوارع واسعة مُمتدة بلا نهاية، شوارع ممهدة بالأسفلت المضيء، ولم يكن هناك أحد يمشي فيها. وتوقَّفت كوانزا، فتوقَّفنا، وبعد لحظات رأينا مصعدًا خشبيًّا أنيقًا، يأخذ شكل صندوق خشبي معلّق بحبال، وما إن دخلنا إليه، حتى وجدناه يصعد بنا عاليًا، ثم تحوَّل إلى ما يشبه التلفريك، إذ أخذ يسير بنا فوق مدينة كل بيوتها معلّقة عاليًا؛ أعلى الأشجار.

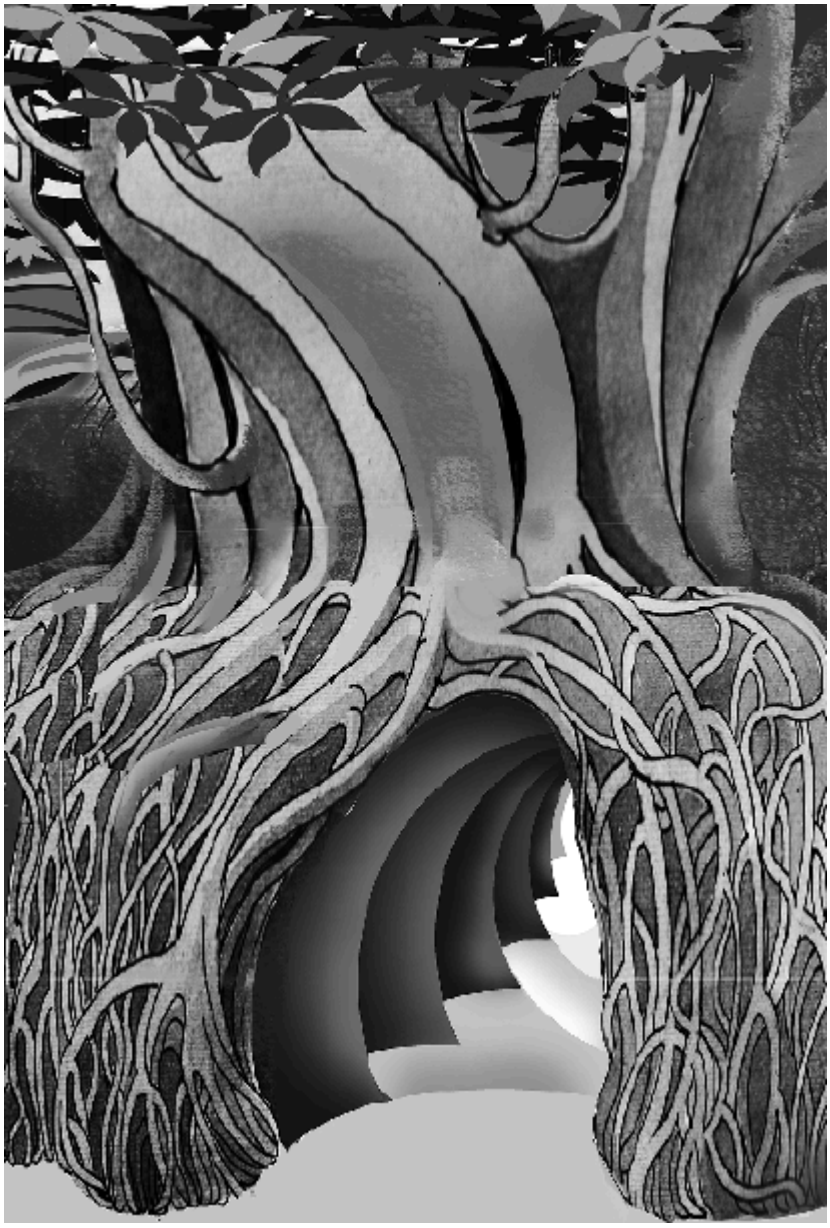

كانت الأشجار الضخمة تتجاور، وحول جذع كل شجرة رأينا حلقات دائرية ضخمة كأنها شرفات دائرية فسيحة، تحيط ببيوت دائرية كل منها توسطها عمود مركزي هو جذع الشجرة، وكل شجرة تتكون من عدَّة بيوت من هذا النوع، كأن الشجرة بناية خشبية تتكون من عدة طوابق، وكل بيت في البناية الشجرية تحيط به حلقة خشبية دائرية كشرفة تُطِلُّ على مدينة الأشجار.

توقّف المصعد أخيرًا، وطلبت منَّا الساحرة كوانزا أن نتبعها عبر جسر خشبي يصل بين المكان الذي توقفنا فيه، وبين إحدى الشجرات الأخرى، وبعد طرقات خفيفة على باب البيت الدائري وجدنا الباب ينفتح.

كان كل ما فيه يشبه الشجر؛ المقاعد تشبه قواعد أسطوانية مقطوعة من شجرة، وكذلك المنضدة الضخمة في الركن القريب من الباب.

لاحظت أن جدران البيت الداخلية الخشبية غير مستوية. لكنها مع ذلك كانت جميلة، فقد كانت أجزاء منها مطليَّة باللون الأحمر، وعلى الأرض وُجِدت مجموعة من الوسائد المصنوعة من القشِّ ومغطاة بأقمشة حمراء، أشارت لنا الساحرة كوانزا أن نجلس إليها.

رأينا فتاة سمراء نحيفة وجميلة، ترتدي فستانًا أصفرَ قصيرًا، دخلت من باب صغير وهي تحمل في يدها صينية عليها أكواب بها سائل أصفر، ومن شدَّة إحساسنا بالعطش شربنا ما فيها بسرعة، كان للمشروب مذاق المانجو.

جلست الفتاة إلى جوار ليلى مبتسمة، كان وجهها جميلًا، ولها ابتسامة عذبة. تحدثت مع دليلة بالسواحيلية فلم نفهم شيئًا، ثم نظرت إلى نينيت؛ التي رفعت وجهها تجاه الفتاة، فقالت لها الفتاة بصوت ناعم وبلغة عربية سليمة:

- «أنا ماريديا، حفيدة مجداشي».

صرخت نينيت:

- «ماذا؟ معقول؟ وهل تزوج مجداشي؟».

وقبل أن تجيب الفتاة بشيء اقتربت منها نينيت، واحتضنتها بقوة. استسلمت لها ماريديا، وهي تبتسم. فسألتها:

- «وهل تعرفين تاريخ جدِّك؟».

- «ماذا تقصدين؟».

- «أقصد أننا في الحقيقة جئنا من زمن متأخر قليلًا ونحن نحاول مساعدة نانو لكي تجد جدك في زمننا. هل هذا الكلام له معنى مفهوم بالنسبة إليك؟».

- «نعم، مفهوم جدًّا، وإلا ما كُنْتُنَّ وجدتُّنَّنَا في انتظاركنَّ».

سألتها ليلى:

- «صحيح، كيف عرفت أنتِ بمجيئنا إلى هنا؟».

تبادلت ماريديا النظر إلى كوانزا، وبدا عليها التردد، لكن الساحرة هزَّت رأسها لها فقالت:

- «هذه قصة طويلة، ولولا الساحرة كوانزا التي ساعدتني لما عرفت بخبر مجيئكم إلينا، لكن ما يهمنا أن نعرفه الآن هو مصير جدي؟».

سألتها:

- «أنتِ أيضًا لا تعرفين مصير جدك؟».

- «لقد خُطف بواسطة مجموعة من الفضائيين ولم يعد إلينا مرة أخرى أبدًا».

- «ماذا تقولين؟ لقد عاد مرة أخرى إلى الأرض، ونانو، هذه الفتاة التي تعرفين اسمها جاءت إلى الأرض لكي تبحث عنه».

- «صحيح أنه عاد، لكن بعد اختفاء نينيت، أو نانو، أو بعد أن جاءت إلى الأرض، واختفائها من كوكبها البعيد، جاء مجموعة من الفضائيين واختطفوه مرة أخرى، واختفى منذ ذلك اليوم».

- «وكيف أصبح جدًّا إذن؟».

- «لقد تزوج بجدَّة جدتي، وأنجبوا ابنة وحيدة هي جدتي، جدَّتي اسمها حَليما وقد أنجبت بعد ذلك أمي وشقيقها، وقد بحث خالي هذا عن جدِّي الكبير مجداشي، ولكنه لم يصل أبدًا إلى أي نتيجة».

شعرنا جميعًا بالدهشة، ولكن نينيت بدا عليها الحزن الشديد، وقد أخذت تفكر في الأمر، ثم قالت لنا:

- «أعتقد أنني فهمت الآن كل شيء. لقد عاد أهلي إلى الأرض حين اكتشفوا غيابي من الكوكب، وتتبعوا مجداشي؛ لأنهم ظنُّوا أنه هو الذي قام باختطافي، وطبعًا لأن مجداشي لا يعرف أنني ذهبت إلى الأرض فقد ظنُّوا أنه يكذب عليهم وربما اضطروا إلى إعادته معهم إلى كوكبنا، إذا تصوروا أنه تسبب في إيذائي».

صمتنا جميعًا، فلم نكن متأكدين تمامًا من دقة الاستنتاج الذي وصلت إليه نينيت، فنظرت إلى ليلى، ووجدتها تفكر في الأمر.

قلت لليلى إن علينا أن نعود فورًا إلى زماننا بأسرع وقت ممكن لإنقاذ مجداشي قبل أن يقع في يد أهل الكوكب الأخضر، وأن علينا إلغاء فكرة الذهاب إلى نيروبي غدًا.

أما دليلة ونعومي فقد بدت على ملامح وجهيهما الحيرة فلم ينطقا بشيء.

قالت نينيت: «أنا أشعر أنني الآن قد تسببت في هذا الأذى لمجداشي، بل ولكل هذه العائلة».

قالت الساحرة كوانزا:

- «لكن من الممكن أن تصلحي الأمر أليس كذلك؟».

قالت نينيت:

- «بكل تأكيد. يمكنني أيضًا أن أفعل شيئًا آخر، وهو أن أبدأ من هنا فورًا والبحث عن محطة فضاء للذهاب إلى الكوكب الأخضر».

قلت لنينيت: «ولكن كيف يمكن لكِ أن تضمني وجود مركبة فضاء بشرية قادرة على الذهاب إلى كوكبكم البعيد يا نانو؟».

فقالت:

- «نحن الآن بعد أكثر من ١٢٠ عامًا من زمانكم يا عالية، ولا بدَّ أن البشر قد تطوروا كثيرًا خلال هذه السنوات الطويلة لاختراع إمكانات جديدة للسفر في الفضاء».

ثم اقتربت نينيت من حفيدة مجداشي وقالت:

- «ماريديا، كوني على ثقة بأنني سأفعل كل ما يمكنني من أجل إصلاح هذا الخطأ».

هزت ماريديا رأسها ووضعت ذراعها على كتف نينيت، التي تلفتت حولها للحظات ثم قالت فجأة:

- «والآن أين هي الحديقة السرية؟».

تبادلنا النظر أنا وماريديا وليلى ودليلة ونعومي وكوانزا؛ على أمل أن ترى أي منا لدى الأخريات إجابة عن سؤال نينيت المفاجئ، لكننا اكتشفنا أن السؤال بلا إجابة، فقفزت نينيت إلى سقف المنزل، وعادت إلى الأرض، ثم ألقت بنفسها على ظهرها وراحت تضحك، وهي تردد:

- «يبدو أنه لا توجد حديقة سرية».

وانطلقنا أنا وليلى في توقيت واحد لكي نداعبها ضربًا على الأرض حيث أوقعت بنفسها، لكن ذلك لم يجعلها إلا أن تستمر في الضحك، وهو ما أدى إلى ضحك الجميع بمن فيهن

ماريديا وكوانزا، الساحرة، التي رأيتها أخيرًا تضحك لأول مرة، وكنت أظنها لا تعرف الضحك!

الفصل التاسع عشر: الطريقُ إلى محطة الفضاء

لم يلتفت شادي خلفه لنداء الرجل الذئب، أو لتشيندو، بل راح يركُض، وهو لا يرى أمامه إلا هدفًا واحدًا وهو محطة الفضاء. رأى من بعيد لافتة تشير إلى محطة قريبة للتلفريك فانطلق إليها، وبعد دقائق قليلة من الانتظار، صعد إلى أول مركبة تلفريك توقفت أمامه.

في داخل عربة التلفريك التي وجد بها عدة مقاعد جلدية صغيرة، رأى شابة سمراء، تبدو في الخامسة عشرة من عمرها. ترتدي شورت وتي شيرت أحمر. وتضع في أذنها سمَّاعة صغيرة بلا أسلاك. سألها عن المكان الذي تتجه إليه عربة التلفريك وإذا ما كانت ستمُرُّ في طريقها على محطة الفضاء. ابتسمت له وأوضحتْ أنَّ العربة تسير في الاتجاه المعاكس للجهة التي توجد بها محطة الفضاء.

ثم نظرت إلى يدها، فظهرت عليها شاشة ضوئية، تأملتها للحظة، ثم قالت له إن عليه -حين تتوقف عربة التلفريك- أن يقفز منها بسرعة، ثم يعبر الجسر المؤدي إلى الجهة المقابلة بأسرع ما يملك من قوة، وأن يركب العربة المقابلة التي ستكون واقفة في نفس اللحظة، وألَّا ينزل منها إلا عند نهاية الخط.

شكر شادي الفتاة، ووقف متأهبًا أمام باب عربة التلفريك، وحين انفتح الباب انطلق كالسهم خارجًا، وفعل بالضبط كما قالت له الفتاة ذات الرداء الأحمر، قفز على الدرجات صعودًا ثم هبوطًا من الجهة الأخرى، وانطلق الى أول عربة وجدها تتوقف أمامه، وقَفَزَ إلى داخلها بمجرد أن انفتح الباب. وتنفَّس بعمقٍ حين وجد نفسه في العربة المقابلة، وانغلق الباب، وبدأت في الحركة بالفعل بمجرد أن وصل إليها تقريبًا.

وبعد رحلة طويلة، في عربة التلفريك، تخللها ركوب أشخاص من أعمار مختلفة، ونزولهم في محطات مختلفة، أتيح لشادي أن يرى مظاهر الحداثة التي بلغتها كينيا، بشكل أكثر دقة، وعن قرب، متأملًا جمال المباني الشاهقة الحديثة، والجسور متعددة الطوابق، والطائرات التي تهبط على أسطح الأبراج، والنظام والنظافة، وصل التلفريك إلى خط النهاية. مع ذلك لم يتوقف عن المقارنة بين ما يراه وبين الحياة الريفية التي رآها في بلدة الفتى كويندي التي وصلوا إليها في كينيا.

لكنه طرد الأسئلة من رأسه وراح يسأل كلَّ من تمكن من سؤاله عن الطريق إلى المحطة الفضائية، وسار وفق التعليمات حتى وجد نفسه أمام طريق طويلة أسفلتية، تكاد تلمع من فرط نظافتها، وتنتهي ببوابة ضخمة يحيط بها سور فولاذي عالٍ، لكنه رأى، على البعد، وخلف السور المتين الذي يُحيط بمبنى محطة الفضاء، وجد أبراجًا شاهقة تمتد إلى السماء. وتساءل هل هذه هي المصاعد الفضائية؟ هل نجح الإنسان في كينيا في تنفيذ مصعد فضائي بالفعل؟

ابتسم شادي في سعادة لأنه تأكد من وصوله إلى المكان المقصود. لكن سرعان ما اختفت الابتسامة، وحلَّ محلها تجهُّمٌ شديد، عندما بدأ يفكر في الكيفية التي يمكن له بها أن يدخل مكانًا كهذا. محطة فضاء، في منطقة نائية، بعيدة، تبدو مراقبة من كل اتجاه، ومما لا شك فيه أنها تتمتَّع بحراسة مشددة. وأحس أن عملية الدخول إلى محطة فضائية كهذه سيكون أمرًا مستحيلًا، بلا جدال.

شعر بالندم لأنه تخلى عن الرجل الذئب، وعن صديقيه الكينيين تشيندو وكويندي، لكنه قال لنفسه لم يعد هناك الآن أي مجال للتردد، فقرَّر أن يمشي تجاه المحطة، بحثًا عن أي بوابة يمكن أن يصل إليها، وليرى بعدها ما سيكون.

بدأ يمشي بخطوات ثقيلة، على الطريق الأسفلتية، وهو يشعر بالرهبة، لكنه مع ذلك شعر بالإثارة. تساءل: هل يعني ذلك أن مصر أيضًا، بعد مئة عام من الآن ستكون قد تمكنت من بناء محطة فضائية للفضاء الخارجي؟ واستغرق في حلم من أحلام اليقظة وهو يقود

مركبة فضائية تحمل العَلم المصري، ويحيط به مجموعة من زملائه وهم يبحثون إمكانات الوصول للكوكب الأزرق البعيد. وتساءل هامسًا: هل قالت نينيت إنه الكوكب الأزرق؟ أم الأخضر؟ ولعن ذاكرته وهو يتمنى من كل قلبه أن يصل العِلم إلى حل لفقدان الذاكرة.

لكن حلم اليقظة الذي كان مستغرقًا فيه بكامل خياله انقطع فجأة حين رأى أمامه ماموثًا ضخمًا يحيط به خِرتيتانِ، يتقدّمان منه في ثبات، وكان وقع أقدامهم على الأرض

الأسفلتية مريعًا، فكل خطوة تبدو مثل انفجار صغير. ولم يستغرق وقتًا طويلًا حتى أدرك أن هذه الكائنات ليست كائنات طبيعية، وبذكائه وفحصه السريع بعينيه لمظهرها، تبيَّن أنها لا يمكن أن تكون سوى مجموعة من الكائنات الآلية. شعر بالرعب. فهذا يعني أنها لن تتوقف لتتفاهم معه، أو حتى ستراجع إقدامها عليه لو كانت مجرد حيوانات طبيعية. أدرك مذعورًا أنها إذا كانت «مبرمجة» لكي تؤذيه أو تعصف به، فإنها ستتقدم إليه بلا تردد، ولن تتوقف إلا بعد أن تنهي مهمتها.

ورغم الذعر، وربما بسببه، تساءل بسرعة وفكر فيما يمكن أن تفعله هذه الكائنات به؟

فكر: هل أستدير الآن وأركض بأقصى سرعة، أم أواجهها وليكن ما يكون؟ لا أعتقد أن سرعتي -مهما بلغت قوتها- سوف تتفوَّق على كائنات آلية مُبرمجة، ولديها بالتأكيد قدرات تفوق القدرات البشرية بعدَّة أضعاف.

رأى واحدًا من الخِرتيتين، وهو يعلو بجسده عاليًا، واستطالت سيقانه من دون أن تتخلى أقدامه عن الأرض. فهم شادي أن الخرتيت الآلي يستخدم سيقانًا صناعية تُتيح له القفز والركض السريع، وبالفعل بُوغِتَ شادي بوجود هذا الخرتيت الآلي المخيف أمامه، وقبل أن يدرك الأمر أو يجد شيئًا يفعله، وجد نفسه مقيّدًا وموضوعًا على ظهر الماموث الآلي العملاق، في الطريق إلى محطة الفضاء التي تمكَّن أن يقرأ اللافتة الموضوعة على مدخلها «مركز فضاء الآليين الأحرار».

كان شادي يشعر بالخوف، وأحس بدقات قلبه السريعة، ومع ذلك فقد ظلَّ ثابتًا، رابط الجأش. تماسك وهو يحاول أن يؤكد لنفسه ثقته بذكائه، وفي أنه سيجد مخرجًا لأي أزمة قد يتعرض لها، أو لِنَقُلْ إنه فكر على هذا النحو حتى يستطيع أن يواجه أي مفاجأة قد تحدث له.

توقف الماموث أخيرًا، وبجواره وقف أحد الخِرتيتيْنِ كأنه يحرسه، ثم سمع أصواتًا آلية تأتي من سمَّاعات مثبَّتة قريبًا من باب المحطة، وشعر شادي بجسده يَهتزُّ بعنفٍ، فقد

انشقَّت الأرض فجأة وابتلعت الماموث العملاق، وعلى ظهره كان شادي يصرخ فزعًا من هذه المفاجأة المذهلة، ولم يستوعب، إلا بعد مرور وقت طويل، أن باب المحطة، وإن كان موجودًا على الأرض، لكن مقر قيادة أو إدارة المحطة الفضائية تقريبًا كلها موجودة تحت الأرض.

سمع صوت الحركة الآلية لخرطوم الماموث، فبدت كذراع أخطبوط عملاقة تبحث عنه، قبل أن ينفتح في طرفها الأمامي ما يشبه كمَّاشة مطَّاطية؛ أمسكت به، ثم رفعته عاليًا قبل أن تضعه على الأرض.

تنفَّس شادي الصُّعداء حين لَمَسَتْ قدماه الأرض، وأخذ يعدِّل من وضع قميصه الأزرق داخل بنطلونه الجينز، لكنه لم يكن يرى شيئًا أمامه، فقد تركه الماموث في مكان معتم تمامًا، سرعان ما تكهَّن بأنها قاعة معتمة، يعكس سقفها شعاعًا ضوئيًّا يتسلط على شادي.

وسمع شادي أخيرًا صوتًا غليظًا ذكره بأصوات الروبوت المبرمجة، ولكنها كانت باللغة العربية:

- «أخبرنا عن اسمك والجهة التي أتيت منها أيها الشاب».

كان الأمر مخيفًا أن يسمع شخصًا يتحدث إليه ولا يراه. لكنه، وبصوت مرتجف، أخبر مصدر الصوت باسمه، وأوضح له أنه قادم من مصر.

حلَّ الصمت لوهلة، وسمع بعدها تكتكات تشبه ضغطات مفاتيح جهاز كمبيوتر.

جاءه الصوت مرة أخرى:

- «وما الذي جعلك تأتي إلى هنا، وتقترب من محطة الفضاء بهذا الشكل؟».

- «لقد أتيت في زيارة لمدينة نيروبي وأحببت أن أزور هذه المحطة؛ لأنني في الحقيقة لديَّ شغف بالعلوم وخصوصًا علوم الفضاء».

- «لكن لا توجد في كل منشورات السياحة في أرجاء كينيا أية إشارة للمحطة فكيف عرفت بها؟».

- «إنها محطة فضاء شهيرة».

- «نعم هي كذلك، لكن لا أحد يعرف مكانها، ولا يمكن لأي مواطن، أو أي شخص على أرض كينيا أن يقترب منها إذا لم يكن من بين طاقم العاملين بها».

توالت الأسئلة على شادي، حول عمره، ونوع المواصلات التي انتقل بها حتى يقترب من المحطة، وغيرها من الأسئلة، التي كان يجيب عليها محاولًا أن يسيطر على صوته حتى لا يبدو توتره.

حلَّ الصمت لفترة، وبدأ شادي يشعر بالتوتر الشديد.

وفجأة غمر المكان الضوء إلى درجة أن شادي شعر بصداع وقتي من شدة الضوء بعد التعرض للعتمة لوقت طويل، وأحس شادي أنه أصيب بالعمى لعدة لحظات، لكنه أغلق عينيه لعدة ثوانٍ، ثم فتحها فرأى أمامه سيدة لم يتبيَّن ملامحها جيدًا وسمعها توجه إليه الكلام:

- «أخبرنا واصدق القول ولن نؤذيك. هل أنت جاسوس قادم إلينا من كونزا؟».

لم يفهم شادي السؤال، وردد همسا كلمة «كونزا»، التي كان يسمع بها لأول مرة، فلم يكن يعرف أن كونزا هي المدينة التكنولوجية الأولى في كينيا، ولو عرف بذلك مسبقًا، لربما اختار أن يقوم بزيارتها بدلًا من نيروبي، ولما تعرض لمثل هذا المأزق الذي يواجهه الآن، والأهم أنه لم يكن يعرف هل يجيب بـ«لا» أم بـ«نعم».

الفصل العشرون: الأشجارُ ذات القبعات!

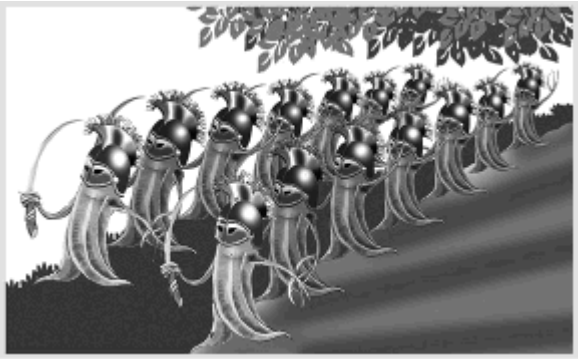

أمرتْنا الساحرة كوينزا أن نصمت، فانخرسنا جميعًا. أخذت تشد عنقها وتمد رأسها عاليًا، كأنها تحاول أن تسمع شيئًا لم يكن بإمكان أيٍّ منّا أن يسمعه. أشارت لنا بإحدى يديها ألا نتحرك من مكاننا، وسارت بخطوات بطيئة، وفي حذر تام، حتى باب المنزل الخشبي، وقفت للحظات قليلة، وعادت تُنصت لما لا نسمعه، ثم خرجت من الباب.

تبادلنا النظر أنا وليلى ونعومي ودليلة ونينيت وماريديا، لكننا ظللنا في مكاننا بلا حركة.

وبعد مرور عدة دقائق أخرى، بدأ القلق يتسرَّب إلينا، فقد أحسسنا أن الساحرة تأخَّرت، فخرجت ماريديا، وخرجنا خلفها. لم نجد الساحرة كوانزا، ولكننا سمِعنا أصواتًا غريبة. أخذنا ندور حول الشرفة، وتذكرت زيارتي الوحيدة لبُرج القاهرة حين كنا نرى مدينة القاهرة الشاسعة من أعلى الشرفة الدائرية لقِمَّة البرج.

اختفت كوانزا فجأة كأنها شبح خفي، ورأيت شجرتيْن قصيرتيْن أسفل الشجرة العملاقة التي نقف في أعلاها. كانت الشجرتان القصيرتان تضع كل منهما قبعة طويلة على رأسها، ثم رأيتُ واحدة منهما تميل إلى الأخرى وتتحدثانِ بصوت غريب لم نفهم منه شيئًا.

كانت البيوت الخشبية الدائرية حولنا هادئة، وكأنَّ كل أهلها نائمون. وبعضها كانت النوافذ الخشبية التي تدور حول كل مبنى دائري منها مفتوحة ومضاءة.

ومن بعيد رأينا إشارة ضوئية غريبة، وبدت الومضات كما لو أنها تصدر من مصباح يضيء وينطفئ بالتتابع. قالت لنا ماريديا إن الساحرة كوانزا تريدنا أن نتبعها، وبدأت تنطلق إلى الجسر الذي يفصل بيننا وبين الأشجار الأخرى. وهكذا رحنا نمشي بحذر، وننتقل على الجسور التي كانت تربط بين الأشجار، حتى وصلنا أخيرًا إلى جسر طويل، اكتشفنا أنه الجسر الذي تنتهي به المدينة الأولى من مدن الأشجار.

كان بالإمكان أن نرى من موقعنا على الجسر ونحن نمشي على الألواح الخشبية المتعاقبة ملامح مدينة الأشجار الثانية، والتي قالت لنا عنها نعومي إنها مدينة أكثر حداثة. كانت البيوت شكلها أجمل، وبدت أشبه بالأكواخ لكنها تتحلى بالأناقة الشديدة والإتقان، ومضاءة بشكل جيد. كأنها أشجار ضخمة عملاقة تثمر أكواخًا خشبية أنيقة.

وقبل أن نصل مباشرة إلى هذه المدينة، التفتنا إلى حيث أشارت ماريديا، فرأينا أكثر من خمسة أشجار من تلك الأشجار القصيرة وهي تقف في الأسفل، وكل منها تمسك عصًا في يدها. وصرخت ليلى بصوت هامس:

- «يا إلهي! ما هذا؟ هل ترين هذه الأشجار المخيفة التي تضع قبعات على رأسها؟».

- «نعم، نعم، ويبدو أنها تتبعنا. لكني أعتقد أن الأمر ليس مخيفًا؛ لأن الساحرة كوانزا ستتصرف بشكل أو بآخر».

راحت أعداد هذه الأشجار المتحركة ذات الأقنعة تتزايد بشكل غريب، ولاحظت نعومي أن كلًّا منها تضع قناعًا صغيرًا به فتحتان صغيرتان مكان العينين كأنَّ لها رؤوسًا ترانا بها. وبعد دقائق، ونحن نعدو خلف صديقتنا ذات الرداء الأصفر، وجدنا الأشجار قد نجحت في الوصول إلى جسر خشبي ملتف حول أكبر شجرات المدينة، باعتباره المدخل الرئيس لها.

قالت دليلة إن هذه الأشجار تتعقبنا، وإن علينا بالتالي أن نخرج من مدينة الأشجار الثانية هذه قبل أن تتمكن من الوصول إلينا.

غاص قلبي خوفًا، وأنا أحاول أن أفهم كيف تتحرك هذه الأشجار خلفنا بهذه الطريقة، وهل هي حقًّا أشجار؟

وهنا جاءنا صوت نينيت:

- «أين ذهبت الساحرة كوانزا؟ كوانزا؟ أين أنت؟».

وجاء صوت نعومي فورًا:

- «*شششششش*. اصمتي أرجوك. إن هذه الأشجار لا ترى شيئًا، ولكنها تتعقبنا بالصوت».

وفجأة وجدنا أنفسنا نرتفع قليلًا عن سطح الأرض، كل منا بمفرده، وبينما بدأنا نصرخ فزعًا، قالت لنا ماريديا إن الساحرة كوانزا قد بدأت تستخدم قوتها السحرية لكي تساعدنا، وأن علينا ألا نخشى شيئًا. وبالفعل، وفي لمح البصر، وجدنا أنفسنا وقد اجتزنا كل الأشجار والبيوت الجميلة المبنية أعلاها، كنا نمشي في الهواء تقريبًا. لا أرض تحت أقدامنا، مع ذلك شعرت أنني أقف فوق شيء صلب. أكان ذلك بساطًا سحريًّا خفيًّا؟ لا أعرف، ولم نتوقف عن المشي في الهواء، أو الطيران الغريب هذا، حتى وصلنا إلى الجسر الأخير الذي عبر بنا إلى مدينة الأشجار الثالثة.

وقفنا أخيرًا على الأرض، ونحن لا نزال مذهولين من الطريقة التي وصلنا بها إلى هنا، وكانت المدينة شبه مظلمة الآن، لا تصدر من بيوتها إضاءة، مما جعلها تبدو كمدينة أشباح معتمة، صامتة وخاوية.

على ضوء القمر الذي كان مصدر الضوء الوحيد، رأينا مجموعة من الأكواخ العشوائية المتجاورة، والتي أحاطت جذع شجرة، لم أرَ في حياتي مثل سُمكِهِ الرهيب وضخامته، إذ

تهيَّأ لي حجمه كأنه يماثل حجم عشر طائرات متجاورة بالطول.

وأخيرًا سمعنا صوت الساحرة كوانزا، كانت تقف في طابق يعلو الطابق الذي وصلنا إليه. أخبرتنا أن هناك سُلَّمًا من الحبال يمكننا أن نصعد عليه بسرعة لكي نصل إليها. وهكذا، راحت كل من نعومي ودليلة تساعدان ليلى أولًا على الصعود، وكادت ليلى تقع بسبب الخوف الذي كانت تشعر به، لكن كوانزا أخذت تشجعها وتطمئنها وتطلب منها أن تستمر في تسلق السلم، وبعدها بدأ دوري، ثم دليلة ونعومي، بينما أصرت نينيت أن تكون آخر من يصعد. ورغم إلحاح ماريديا عليها في أن تسبقها هي، لكن نينيت أصرت وعاندت كالعادة، حتى استجابت لها ماريديا، وبدأت تصعد السلم.

ولست أعرف كيف تسابقت الأحداث، فقد كنا جميعًا في حالة ذعر، ولا نفهم شيئًا مما يحدث، ولا نعرف طبيعة تلك الأشجار المتحركة ولا سبب مطاردتها لنا، وكنا نريد أن نبتعد عن المكان، ولكننا سمعنا نينيت تصرخ، إذ أمسكت بقدمها واحدة من تلك الأشجار المخيفة.

وفوجئنا بنينيت، تقلب نفسها رأسًا على عقب، وتخلص قدمها من يد الشجرة، ثم تتشبث بقدميها بالسلم، وبدأت في تحريك ذراعيها معًا بسرعة غريبة إلى درجة تجعل من يشاهدهما يتصور أنهما ريشتا مروحة، راحتا تكيل الضربات المتتابعة إلى رأس الشجرة، التي تقطعت فروعها بسرعة، حتى رأينا في موضع الفروع المنزوعة بسبب ضربات نينيت، رأسًا معدنيًّا لكائن غريب، وقبل أن نفهم ما هو هذا الكائن الغريب، تمتمت الساحرة كوانزا بتعويذة سحرية تسببت في احتراق الحبال التي يتكون منها هذا السلم.

ورأينا النار تلتهم حبال السلم في عكس اتجاه نينيت، التي أخذت تتسلق الجزء البعيد عن النار بسرعة، وما إن وضعت قدمها بجوارنا حتى كان الحبل المحترق قد سقط مشتعلًا وقد أمسك به هذا الكائن الغريب، وهو يصدر أصوات فحيح شجرية غريبة، ولن أستطيع أن أشرح طبيعة هذا الصوت، فهو صوت لا يعرفه إلا من سبق له أن استمع إلى صوت شجرة تتحدث من قبل.

ثم سمعنا صوت الساحرة تقول لنا:

- «استعدوا للقادم، لقد تولت الكائنات الآلية السيطرة على كينيا».

الفصل الحادي والعشرون: الرجلُ الذئبُ والجاسوس!

كان الرجل الذئب يشعر بغضب شديد، فلم يكن يتوقع أن يختفي شادي من أمامه هاربًا، وأن يُصرَّ على الذهاب إلى محطة الفضاء بهذا العناد، وشعر بالذنب لأنه استجاب لشادي في الذهاب إلى نيروبي من دون البنات من البداية، وفكر للحظات في أن يعود إلى القرية التي ترك بها الفتيات، ولكنه قرر أن يتريَّثَ، وأن يُفكر جيدًا في الأمر بشكل أكثر هدوءًا.

طلب من كويندي أن يبقى واقفًا مع الفرس السحري، وألا يتحرك من جواره مهما حدث، ثم اختفى الرجل الذئب، بحثًا عن مكانٍ آمن، يمكنه فيه أن يُجري بعض التعاويذ السحرية، وأن يتأمَّل البلَّورة السحرية التي تتيح له أن يرى ما لا يمكن لغيره أن يراه.

ولم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى تأكد الرجل الذئب من حجم الخطر الذي يُحيط بكل من الفتيات اللائي أصبحن هدفًا للرجال الآليين الذين تخفُّوا في هيئة أشجار، كما تأكد من حجم الخطر الذي تعرض له شادي باعتباره أسيرًا وقع بالفعل في يد «الآليين الأحرار» الذين بدءوا خطتهم للسيطرة على نيروبي، لكي يتحكموا هم في كينيا، ويصبح البشر في خدمتهم وليس العكس.

أحس الرجل الذئب بالخطر، وأدرك أن مواجهة القوة الآلية يفوق قدراته. فهو، رغم خبراته الطويلة في العصر الذي يعيش فيه في مصر الفرعونية، لم يتعرض لمثل هذه الأمور من قبل. فبالرغم من التطور العلمي الذي بلغه المصريون القدماء، فإن موضوعًا مثل تحويل الآلات لتقوم بما يقوم به البشر كان أمرًا بعيدًا عن قدرات الإنسان وخياله في ذلك الوقت.

ومع ذلك، أصر الرجل الذئب على استعادة هدوءه، لكي يتمكَّن من التفكير في طريقة يجد بها الحلول المناسبة للموقف، والخروج من هذا المأزق بطريقة تضمن نجاة الجميع من أي

خطر محتمل.

اعتبر نفسه مسؤولًا حتى عن خطأ الفرس السحري الذي لم يُحسن تقدير مساره الزمني، وبالتالي عن مجيئهم إلى هذا المكان، وهكذا فقد أخذ الرجل الذئب يؤكد لنفسه أنه لا يمكن أن يتنازل عن إنقاذ شادي والفتيات مهما كلفه الأمر.

وبينما ذهب الرجل الذئب لإيجاد مكانٍ هادئ يمكن له فيه وضع خطته المُحكمة، وقف كويندي حائرًا بجوار الفرس السحري، وكلما شعر بالملل، صعد إلى العربة التي يجرها الفرس، وتمدد قليلًا، ثم عاد إلى التلفت حوله للتأكد إذا ما كان الرجل الذئب قد عاد، أم لا.

ولم يمضِ أكثر من دقائق أخرى حتى ظهر بجوار العربة رجلٌ طويل يرتدي زيًّا عسكريًّا معدنيًّا يُشبه ما يرتديه الجنود الآليون. وقف يتأمل العربة في دهشة. ولم ينتبِهْ في البداية لوجود الفتى الصغير كويندي. لكن حينما شعر الأخير بوجود ذلك الجندي انتفض وهبَّ من مكانه، وانطلق إليه وحيَّاه باحترام شديد.

طبعًا لو أن أحدًا من أصدقائنا: شادي أو ليلى وعالية، أتيح له أن يستمع للحوار الدائر بين كويندي والجندي الآلي غريب المظهر لما فهم شيئًا من حوار تمَّ كله باللغة السواحيلية.

أما لو كانت دليلة أو نعومي هي من تقف بجوارهما فقد كان من الممكن لأيٍّ منهما أن تفهم بسهولة أن هذا الفتى الأسمر الصغير؛ كويندي، ليس سوى جاسوس يعمل لصالح «الآليين الأحرار»، وأنه الشخص الذي تسبب في تتبع الآليين لكل من شادي هنا في نيروبي، ولكل من عالية وليلى ونينيت في القرية القريبة من مدينة الأطلال المعروفة باسم «أطلال جيدي».

وبينما كان الفتى والقائد يتحدثان، لاحظ الجندي الآلي شيئًا جعله يبدأ في دعك عينيه بيده لأنه لم يكن متأكدًا من كون ما يراه حقيقة أو خيالًا، فقد بدأ الفرس في الاختفاء تدريجيًّا، وقبل أن يستوعب الرجل ما يحدث، فوجئ بالعربة كلها وهي تختفي من أمامه، وحين أراد أن يسأل كويندي إذا كان يرى مثله ما يرى، فوجئ بأن هذا الفتى أيضًا اختفى من أمامه، وكأن الأرض انشقت وابتلعته مع العربة والفرس.

أما ما حدث فقد تمثل في أن كويندي أصبح أسيرًا في يد الرجل الذئب، الذي أدرك حقيقة كويندي، فأمسك به، بعد أن أخفاه مع العربة والفرس؛ باستخدام الإكسير السحري الذي يمكن له به أن يخفي الأشياء عن مَرْأَى العيون.

لم يلتفت الرجل الذئب لصرخات كويندي واستغاثته، وهو يُمسك به جيدًا، ويقود الفرس والعربة إلى حيث تتواجد محطة الفضاء، والتي وقع فيها شادي أسيرًا في يد الآليين الأحرار.

حين تمكن الرجل الذئب أخيرًا من الوصول إلى مكان محطة الفضاء، أدرك أن قدرته على الاختفاء وحدها قد لا تُمكِّنه من الدخول إلى المحطة، فقد تبيَّن له أن الباب الرئيس للمحطة تمت كهربته بصواعق كهربية، يمكن أن تصعق أي شخص يمرُّ بالباب من دون إذن من الحراس، لكنه كان مطمئنًا إلى أن الحرَّاس وكاميرات المراقبة الموضوعة حول مدخل المحطة لن تكون قادرة على أن تكشف وجوده هو أو عربته السحرية أو فرسه، أو حتى كويندي الذي كان لم يزل مختفيًا تحت تأثير الإكسير السحري.

لكن كان عليه أن يجد طريقة لدخول المحطة مهما كلفه الأمر. كان يريد أن يجد طريقة يترك بها كويندي، بعيدًا عنه، حتى يتحرك بخفّة وبلا عوائق، وأيضًا حتى لا يَشِي به كويندي للآليين، وأن يتأكد -في الوقت نفسه- من عدم قدرة وصول الآليين إليه.

لكنه عاد وفكَّر قليلًا، وقرَّر أن يصحب كويندي معه، على أمل أن يستغل وجوده في مساومة الآليين، لكي يتركوا شادي، وألا يتعرض لأذاهم، وهكذا أعاد التفكير في الأمر، وقرَّر أن يحاول دراسة موقع المحطة الداخلي أولًا مستغلًّا عدم ظهوره لأحد، ثم بعدها يقرر الكيفية التي سينفذ بها خطة البحث عن شادي وإنقاذه من بين أيدي الآليين.

لكنه وبينما كان جالسًا يُفكر، وجد الباب وقد انفتح فجأة، وظهر الجندي الذي كان واقفًا قبل قليل، وهو يقود مجموعة من الآليين لا يقل عددهم عن عشرين شخصًا، ويبدو أنهم قرروا مواجهة الخطر المحتمل بعد أن أبلغ ذلك الجندي قادته عن اختفاء كويندي من أمامه. وبسرعة، انطلق الرجل الذئب إلى العربة، واقترب من أذن الفرس السحري، وهمس له ببضع كلمات، وهزَّ الفرس رأسه استجابة، من دون أن يصدر أي صوت، ثم رمق الرجل الذئب الفتى كويندي الذي كان موثقًا بالحبال ومكمَّمَ الفم، ونائمًا على جنبه، على سطح العربة الفرعونية.

اقترب منه الرجل الذئب ونظر إليه بغضب وحذَّره من القيام بأي حركة أو إصدار أي صوت، مؤكدًا له أنه لو فكر في الهروب بأي شكل، فإن الفرس تلقى تعليمات بأن يسافر به إلى زمن الفراعنة مباشرة لكي يلقى عقابه هناك، ويبدو أن الرجل الذئب قد نَسِيَ تمامًا أن الفتى كويندي لا يعرف أي كلمة ولا يفهم سوى لغته السواحيلية.

انطلق الرجل الذئب بسرعة، بعد أن لوَّح لفرسه مودعًا، باتجاه باب المحطة الفضائية، لكي يتمكن من استغلال فرصة انفتاح الباب، لكي يتسلَّل من بين الجنود ويدخل إلى داخل المحطة الفضائية بحثًا عن شادي.

الفصل الثاني والعشرون: الساحرةُ كوانزا والمئةُ جِنِّي

ركضت الساحرة كوانزا أمامنا، وأشارت إلينا أن نتبعها. مررنا على جسر خشبي رحنا نسمع أقدامنا تُطَرقع عليه، بينما كان الوجه المرسوم على ظهر عباءتها يبتسم ابتسامته الغامضة، حتى وصلت إلى كوخٍ خشبي دائري مضاء بشموع موضوعة داخل مصابيح تأخذ شكل جماجمَ بشرية، وحاولتُ أن أكتم صرختي من شدة رُعبي من شكل العيون المضاءة بضوء الشموع.

انتظرتنا حتى دخلنا جميعًا، وطلبت منا ألا نتحرك أو نصدر صوتًا حتى تنتهي مما ينبغي عليها أن تنتهي منه، فالتزمنا بما قالت، وجلسنا في ركن الكوخ. تقدمت دليلة وأنا خلفها، وتبعتنا نعومي وبعدها ليلى ثم نينيت.

خلعت الساحرة كوانزا عباءتها وبقيت بفستان أحمر قصير، ثم عَقَصَتْ شعرها الهائشَ الطويل في ذيل حصان طويل، وأولتنا ظهرها، وهي تُمسك بعصاها السحرية وتُتمتم بتعاويذَ غامضةٍ لم نفهم منها شيئًا.

كنا نسمع أصوات أقدام تبدو كأنها تخطو زحفًا، وهو ما جعلني أتصورها كأنها تصدر عن مجموعات من الزومبي التي تزحف على الشجر والجسور لكي تصل إلينا. حاولت أن أتماسك وأن أسيطر على ارتعاش جسدي من شدَّة الخوف، ويبدو أن نعومي لمحتني، فقالت لي وهي تُزيح خصلة من شعرها الأزرق القصير قائلة لي إننا في حماية كوانزا، وأن قواها السحرية معروفة في المنطقة كلها. قالت لي بثقة وهي تقرِّب فمها من أذني حتى لا ترفع صوتها:

- «اطمئني تمامًا، سنكون في أمان».

بعد لحظات بدأنا نسمع أصواتًا غريبة، ولم نفهم من أين تأتي. كانت كوانزا تتبادل حديثًا غامضًا، كأنها تخاطب مخلوقات خفيَّة لا يمكن أن نراها، وبعد أن استمر هذا الحوار، راحت تشير بعصاها تجاه الباب، وكلما حركت عصاها حركة قوية وعصبية، سمعنا صوت ارتطام شيء ما بالأرض الخشبية خارج الكوخ، ولم نفهم ما طبيعة ما يسقط على الأرض في الخارج، واستمر الأمر طويلًا، ولكن دليلة قالت لي:

- «أظنها تستعين الآن بمئة جنِّي. لقد عددت مرات ارتطامهم بالأرض في الخارج».

- «ماذا؟ مئة جني؟».

أشارت إليَّ بيدها أن أصمت وهزَّت رأسها تطمئنني. نظرتُ إلى ليلى، ويبدو أن كلمة جنِّي جعلتها تفتح فمها مدهوشة حتى أنها لم تتمكن من إغلاقه مرة أخرى.

بالرغم من الرعب الذي كنت أعيشه في هذه اللحظات تذكرت شادي، وحاولت أن أهدئ نفسي بأن الرجل الذئب لا بدَّ وأن يكون قد شعر بأننا تأخرنا، وربما يكون هو وشادي الآن يبحثان عنا. تمنيت أن يكون الرجل الذئب معنا في هذه اللحظات، فلا شك أنه كان سيجيد التصرف.

أغمضت عيني وفتحتهما فرأيت ظلًّا قصيرًا يسبق كائنًا قصيرًا، وهو يدخل من باب الكوخ، وكدت أصرخ بفرح منادية على شادي. لكني، وقبل أن أنطق بشيء، اكتشفت أن الظلَّ لم يكن إلا لقزمٍ أسمر شعره طويل، يرتدي وشاحًا أسودَ يكاد لا يظهر منه سوى عينيْهِ. توجه إلى الساحرة كوانزا، واقترب منها، فتحدثت معه قليلًا، فهزَّ لها رأسه وخرج سريعًا.

قالت لنا كوانزا:

- «لا تَخْشيْنَ شيئًا أيتها الفتيات، لقد نجحت في إحضار مئة من مساعدينا، وسوف يبقى بعضهم حول هذا الكوخ لحمايته، بينما البقية ستخرج معي لمواجهة الآليين المتنكرين في هيئة الأشجار. وحينما ننتهي منهم سوف نخرج جميعًا من مدينة الشجر لأن الأمور تتطور في الخارج بشكل سريع».

قالت نينيت:

- «يمكنني أن أتنكر في هيئة شجرة أنا أيضًا لكي أساعدكم».

لكن كوانزا قالت لها إن عليها الآن أن تلتزم الهدوء، وأنها سوف تحتاج إلى مساعدتها في وقت لاحق.

ارتدت الساحرة كوانزا وشاحها، وطلبت منّا أن نبقى في مكاننا، ويبدو أن نظراتنا التي وشت برغبتنا في أن نكون معها جعلتها تعود لتؤكد لنا أنها سوف تنتهي من القضاء على الأعداء أولًا، وتعود لتصحبنا بعيدًا عن هنا. لكن نينيت رفضت وقالت لها إننا لن نتركها تذهب من دوننا، وأن علينا أن نشارك في قتال الأعداء ونظرت إلينا.

ويبدو أن الساحرة لم تقتنع لأنها قالت بغضب:

- «نانو، أنتِ لك دور آخر يجب أن تقومي به لتساعدينا في معرفة مصير مجداشي، أما الآن فلا يمكن لكِ ولا أي من هذه الفتيات مقاتلة جيش من الآليين الذين يمتلكون قدرات

خارقة. هل فهمت؟ اتركيني الآن لأنتهي من عملي، واجلسن هنا في هدوء من فضلكن».

امتثلت نينيت أخيرًا، بعد أن أحسَّت بخطورة الموقف، ولكنَّنا قرَّرنا معًا أن نذهب إلى الشُّرفة بعد خروج كوانزا لكي نراقب ما سوف يحدث.

بعد خروج كوانزا بدقائق سمعنا أصوات طرق أقدام عديدة لخشب الشرفة، وتأكدتُ مما قالته الساحرة، لقد تمكنت من تحضير عدد كبير من.. هذه المخلوقات التي لا أحب أن أذكر اسمها.

وبعد قليل سمعنا أصوات صرخات غريبة. لم تكن صرخات طبيعية، بل تشبه أصوات صرخة نسر مبرمجة بطريقة آلية، أو شيئًا من هذا القبيل.

كنا نحاول جميعًا نحن الخمسة أن نقاوم فضولنا الشديد ورغبتنا في الخروج لكي نرى ما يحدث، وما إن ابتعدت الأصوات قليلًا، حتى اندفعنا تقريبًا معًا، أنا ونينيت، وليلى ودليلة ونعومي، باتجاه الباب. وما إن قامت نينيت بفتح الباب حتى فوجئنا بشجرة صغيرة تقف في وجهنا تسد الباب وتمنعنا من الخروج، وصرخنا جميعًا معًا صرخة جماعية، أيضًا.

كانت الشجرة تنظر إلينا من خلال ثقبين في قناع موضوع أعلى رأسها، ولكنها كانت أقصر منا جميعًا. وبالرغم من إحساسي بالرعب من شكل الشجرة، لكنني أحسست أن هناك شيئًا مضحكًا في شكلها. فلماذا تضع الشجرة قناعًا؟ لكن دليلة قالت بخوف إن الشجرة الصغيرة ليست سوى جنِّي. فعدنا إلى مكاننا في الركن الذي كنا نجلس فيه، وراحت ليلى بنفسها تغلق الباب، وعادت وهي تسألني في ذعر:

- «ماذا سنفعل الآن؟ إن ما يحدث حولنا مخيف جدًّا. أريد أن أعود إلى بيتي الآن».

أمسكتُ بها وطلبت منها أن تهدأ. استعدتُ خبرتي أنا وشادي في رحلتنا السابقة، وكنتُ أشعر أننا سنتجاوز هذه المأساة بشكل أو بآخر، وإن كنت لا أعرف حقًّا هل سننجو هذه

المرة أم لا، وتمنيت للحظات أن يكون هذا الأمر كله مجرد كابوس سينتهي بمجرد أن أستيقظ من النوم!

قالت لنا نينيت بعد تفكير أن لديها فكرة. أخرجت جهازها الذي يشبه الهاتف المحمول، وقالت لنا إن جهازها هذا متعدد الاستخدامات وراحت تلعب قليلًا في أزراره، ثم قالت لنا إنها سوف تستخدم تقنية حديثة. أخرجت شريحة مستطيلة من داخل الجهاز، ثم أخذت تُبرمِج الشريحة، وبحثت عن منضدة، وراحت تحاول تثبيته، ثم قالت لنا: إنها سوف تستخدم هذه الشريحة كشاشة عرض، أما هي فسوف تتحرك ومعها جهازها الخاص، وتشغِّل الكاميرا بحيث يُتاح لنا أن نرى على الحائط أمامنا كل ما يجري في الأسفل.

سألتها نعومي وهي تهرش شعر رأسها الأزرق القصير:

- «ولكن كيف سيكون بإمكانك الخروج من هنا؟ لن يدعك هؤلاء الأقزام».

- «سأحاول. دعيني أحاول».

ووجدت نفسي أصرخ فجأة:

- «لن تخرجي من هنا يا نانو من دوني. سوف آتي معكِ مهما كلفني الأمر».

ووجدت الفتيات الخمس ينظرون إليَّ معًا، بشكلٍ شعرتُ معه أنني ارتكبت أكبر خطأ في حياتي، لكني شعرتُ أنني لن أتراجع عمَّا قلته، ولو أدى الأمر حتى إلى الدخول في معركة مع هؤلاء الأقزام الذين تسميهم دليلة بالـ... بالـ... جن!

الفصل الثالث والعشرون: أشباحٌ غيرُ مرئية في المحطة الفضائية

كان الرجل الذئب يبتسمُ في وجه الجنود الآليين الخارجين من البوابة، كأنه يَسخر من عدم قدرتهم على رؤيته، محاولًا فقط أن يتفاداهم، حتى لا يرتطموا به ويشعروا بوجوده.

تنفَّس بعمق وراحة حين وجد نفسه يقف داخل المحطة الفضائية أخيرًا. كانت أرضيتها مبلّطة بطبقة أسمنتية ملساء، لكنه انتظر حتى اختفاء آخر جندي من فريق الآليين الذي خرج لاكتشاف ما يحدث في الخارج، ربما بحثًا عن المتعاونين مع شادي.

كان الرجل الذئب يعرف جيدًا أن كل ما أراد قدماء المصريين أن يحافظوا عليه، ويبقوه خالدًا، بنوه إما شاهقًا عاليًا، صلدًا، لا يمكن هدمه مثل الأهرام، أو بنوه في داخل الجبال مثل بعض المقابر التي أرادوا أن يخفوها عن الآخرين، وبينها تلك التي حفروها في جبال «وادي الملوك» في مدينة الأقصر، وفي جبال أخرى. ولهذا أخذ يتجول بعينيه متأمِّلًا الأبنية المتجاورة لمحطة الفضاء، والتي يظهر على مبعدة منها منصات إطلاق الصواريخ، وهو يشعُر بحدْسِه أن قيادة مثل هذا المكان لا بدَّ أن تكون في مكان ما تحت الأرض.

كانت مداخل البناء مُصمتة ومخفية، مبنيَّة على هيئة جدران، وربما من نفس الخامات. اقترب من المبنى ووضع يده على الجدار وراح يُمَرِّرُ يده عليها في حِرص وحذر، حتى تبيَّن له بالفعل أنها مجرد أبواب تأخذ شكل الجدران، وبينما يتفحَّص الجدران لاحظ وجود عدد من الأغطية المعدنية مربعة الشكل على الأرض، بالرغم من أنها كانت مغطاة بما يشبه الأعشاب الصناعية حتى لا يكتشفها أحد بسهولة.

لم يساوِرْه الشك في أن تلك الأغطية المعدنية المربعة ليست سوى معابر إضافية للطوارئ إلى مراكز مبنية تحت الأرض، أو مقرات مُمَوَّهة لخروج الآليين في أوقات الخطر.

وفجأة رأى واحدًا من تلك الأغطية تنفتح بشكل آلي، كأنها قطعة أرض معدنية مقسمة إلى قسمين ينفتحان معًا كلٌّ إلى جهة. انتظر في مكانه مترقبًا. ورأى ما يشبه عمودًا معدنيًّا مطليًّا بالفضة في نهايته منظار أشبه بكاميرا. فأدرك أن القيادة ربما تكون لديها حسَّاسات شعرت بوجوده، وتريد أن تتأكد من اختفائه.

وبالرغم من معرفته بأنه خفي لا يمكن رؤيته بالعين البشرية، فإنه خشي من قدرات العدسات الإلكترونية على أن ترصده. فظلَّ مُمددًا على الأرض، وعينه على العدسة المتحركة، ثم أخذ يقترب منها في هدوء، كلما تغيرت زاويتها وأصبح جانبها الخلفي في مواجهته.

حتى تمكن في النهاية أن يتدلَّى مُمسكًا بأحد طرفي الباب، ثم ألقى بنفسه بلا تردد.

حينما وقع على الأرض، لم يَرَ شيئًا، فقد كان المكان معتمًا تمامًا، وكان عليه أن يظلَّ في مكانه بلا حركة لفترة حتى يتمكن من أن يعتاد الرؤية في الظلام. لكنه في المقابل، كان يُنصت بكلِّ ما يمتلك من قوة السمع لكي يحاول أن يعرف إذا ما كانت الغرفة التي سقط فيها مجرد مكان خالٍ من الآليين أم أنهم يتواجدون قريبًا منه.

بعد دقائق من الهدوء التام، وعدم الحركة، سمع أخيرًا أصواتًا قريبة منه. كانت أشبه بأصوات بشرية، فتحفزت حواسه وهو يتوقع أن يكون شادي قريبًا. جلس على الأرض مُقرفصًا وبدأ يتأمل المكان. كانت الغرفة شبه خالية، بها عمود تتصل به الكاميرا في مركزها، حيث سقط، وتخلو إلا من جهازٍ متصل بشاشتين لاحظ بعد قليل أنهما تنقلان مشاهد من مدخل المحطة ومداخل الأبنية بالتعاقب.

تمدَّد على الأرض، وأخذ يدور بجسده حتى لا تتعقبه أي أجهزة تنصُّت أو حسَّاسات إلكترونية، وجد في النهاية بابًا زجاجيًّا مغلقًا، فانتظر بجواره، ومرت أكثر من عشر دقائق حتى سمع صوت خطوات على الأرض، فالتفت ليرى رجلًا آليًّا يشبه الجندي الذي رآه في الخارج يقترب من الغرفة، فحبس أنفاسه.

كان الرجل الآلي يقف وينظر إلى يساره كأنه يتأمل مشهدًا، ثم اقترب من الغرفة مرة أخرى. وما إن انفتح الباب حتى تسلَّل الرجل الذئب خارجًا في نفس توقيت دخول الرجل الآلي تقريبًا. ونظر إلى يمينه فوجد شادي داخل زنزانة ينام على فراشٍ صغير في ركن بعيد، وفي مقابله وجد شابًّا كينيًّا أسمر ينام على فراش آخر.

كان شادي ينظر إلى سقف الزنزانة شاردًا، وعلى وجهه ملامح الإرهاق الشديد. تلفَّت الرجل الذئب حوله وأدرك أن الممرَّ يضمُّ عددًا من الزنازين الصغيرة المتجاورة، ورأى زنزانة أخرى خالية، وهي المجاورة لزنزانة شادي، وبعدها زنزانتان أخريَان، رأى في الأولى رجلًا كبيرًا أسمر شعره المُشْعَثُ يمتلئ بالشَّيْبِ، يجلس على مقعد وفي يده كتاب إلكتروني. وفي الأخرى رأى رجلًا كبيرًا في العمر نائمًا على فراش وحيد موضوع في منتصف الغرفة.

عاد بسرعة إلى الزنزانة التي يوجد بها شادي، وجلس على الأرض ثم نادى بصوت هامس:

- «أنت هناك.. أيها الفرعون الصغير!».

انتفض شادي، وشعر بالمفاجأة والفرح، كغريق وجد قاربًا للإغاثة. لكن الرجل الذئب سرعان ما قال له:

- «أرجوك لا تتحرك من مكانك حتى لا يَشُك فيكَ أحدٌ. أنا تناولت الإكسير السحري فلن يراني أحد الآن. جئتُ لإنقاذك، فاطمئن. أريد أن أسألك بضعة أسئلة. يمكنك أن تجيب بنعم أو لا. هزَّ لي رأسك فقط».

هزَّ شادي رأسه موافقًا، وتصنَّع النظر إلى السقف مرة أخرى.

سأله الرجل الذئب:

- «هل هذه الزنزانة قريبة من قيادة الآليين؟».

فهز شادي رأسه بالإيجاب.

- «هل عدد الموجودين في غرفة القيادة كبير؟ هل يزيد على خمسة أفراد مثلًا؟».

فأومأ إليه شادي مرة أخرى.

- «هل الجندي الذي مرَّ الآن هو المسؤول عن إغلاق الزنازين؟».

فرفع شادي يده بعلامة النصر.

- «هل هذا الممر مراقب؟».

وعاد شادي يهز رأسه بالإيجاب.

- «هل هناك مفتاح للإضاءة قريب من هنا؟».

فعاد شادي يهز رأسه بنفس الطريقة لكي يفهم الرجل الذئب أن الإجابة هي «نعم».

نهض الرجل الذئب وأخذ يتأمل الزنازين وجدران الرواق الذي تتواجد به، حتى رأى مجموعة من المفاتيح؛ فبقي بجوارها وحبس أنفاسه، وبمجرد أن رأى الرجل من خلف الباب الزجاجي تأهَّب وتحفز، وبمجرد خروج الرجل قفز الرجل الذئب إلى حيث توجد مفاتيح الإضاءة، وحركها جميعًا فانطفأت أضواء الزنازين تباعًا، وبينها ضوء الممر المقابل للزنازين، والذي يقف الرجل الذئب في منتصفه.

حلَّ الظلام وسادت العتمة في المكان، وخرجت أصوات مختلفة في وقت واحد تستنكر حلول الظلام فجأة بهذا الشكل.

قفز الرجل الذئب تجاه الآلي، واصطدم به. فسقط الآلي على ظهره، لكنه نهض بسرعة محاولًا الإمساك بالرجل الذئب، لكن الأخير أفلت منه كأنه حيَّة أو أفعى. كان الرجل الآلي، مثل روبوت يأخذ هيئة إنسية، ولكنه مكون من غطاء معدني بالكامل. وكان أكثر ما شغل الرجل الذئب هو كيفية إيجاد وسيلة لفتح الزنازين.

أتاه صوت شادي:

- «يد الآلي هي المفتاح».

فكر الرجل الذئب بسرعة، ولم يعرف كيف يمكن له أن يعالج الأمر، فقد كان الآلي يحاول أن يعدل نفسه وينهض، وكان الرجل الذئب يُعيد إسقاطه.

في النهاية قام الرجل الذئب بإسقاط الآلي على الأرض، ثم انطلق بعيدًا وأخرج من صداريته سكينه السحرية، وانطلق عائدًا بها صوب الآلي، مرة أخرى، ثم باغته بحركة انتهت بوجود ذراع الرجل الآلي اليمنى في يده، وقبل أن يستوعب الآلي ما حدث، كان الرجل الذئب قد توجه بالذراع، ووضع أصابع الذراع في فتحة المفتاح الصغيرة التي تشبه ثقبًا واسعًا، حتى سمع تكَّة الباب أخيرًا.

فتح الرجل الذئب الزنازين الأخرى، وطلب من شادي أن يشرح لهم الموقف، فأخذ العلماء يوضحون له الطريقة التي يمكنهم بها التحكم في الأبواب، وبدءوا رحلتهم بعد أن قام أحد المسجونين، وهو الرجل ذو الشعر الأشعث المُمتلئ بالشيْب، بإيقاف عمل الآلي، حتى تمكنوا من الهروب.

سمع الرجل الذئب خطوات ثقيلة خلفه، فالتفت ليرى الرجل الآلي الذي أصبح الآن بذراع واحدة وهو يسير ببطء خلفهم؛ فعاد إليه الرجل الذئب، وأمسك بذراعه السليمة ثم لفها بقوة فارتفع الآلي عن الأرض، وقبل أن يقع جسد الآلي على الأرض تمكن الرجل الذئب من خلع ذراعه الثانية، فوقع الآلي هذه المرة ولم يتحرك بعدها.

بلغ عدد العلماء الذين أخرجهم الرجل الذئب ثلاثة علماء. كلهم من المتخصصين في علوم الفضاء، وأحدهم كان مسؤولًا عن مشروع لتوفير بدائل للطاقة لمركبات الفضاء التي ترحل في رحلات طويلة لاكتشاف ما هو خارج المجموعة الشمسية.

كان السيد كينيان، كما عرَّف نفسه، رجلًا كبيرًا في العمر، أسمر البشرة، متين البنية، يرتدي سُترةً بُنِّية، وشعره الأبيض الطويل يبدو كهالة بيضاء، أو سحابة صغيرة، تسير أعلى رأسه. أما العالمان الآخران فهما البروفيسور حبيب، والبروفيسور جمال، وكلاهما نحيفان. وكان البروفيسور حبيب يرتدي سترة خضراء أنيقة، أما البروفيسور جمال فيرتدي بنطالًا جينزًا وقميصًا أبيض.

جاء صوت الرجل الذئب، وقد ظهرت قريبًا من مصدر صوته قنينة فخارية وهو يقول لهم:

- «أرجو من كلٍّ منكم أن يتجرع جرعة صغيرة من هذا المشروب السرِّي بحيث يمكنكم أن تختفوا مثلي حتى يمكننا الهروب من هنا».

نظر الثلاثة إلى شادي في دهشة، لكن شادي طمأنهم وشرح لهم بسرعة أن الرجل الذئب شخصٌ موثوق به، وسوف يعمل على إنقاذ الجميع.

فتناولوا جميعًا من القنينة جرعات المشروب السحري، وحين بدأت ملامحهم في الاختفاء، أخرج الرجل الذئب قنينة أخرى، وأخرج منها حفنة من مادة تشبه مسحوقًا أبيض يشبه الدقيق، وقام بنفخها عليهم فأخفت ملابسهم هذه المرة. وأخرج من جيبه أساور جلدية ملونة، طلب من كلٍّ منهم أن يضعها حول معصمه حتى يمكن لهم أن يتتبعوا بعضهم مكان بعض.

وهكذا بدأت رحلة الهروب، ولكن الرجل الذئب لم يكن ينوي الخروج من المحطة بهذه السهولة، فطلب منهم أن يتبعوه وأن يدلوه أولًا على موقع القيادة.

الفصل الرابع والعشرون: الأقزامُ أصحابُ القبّعات الحمراء

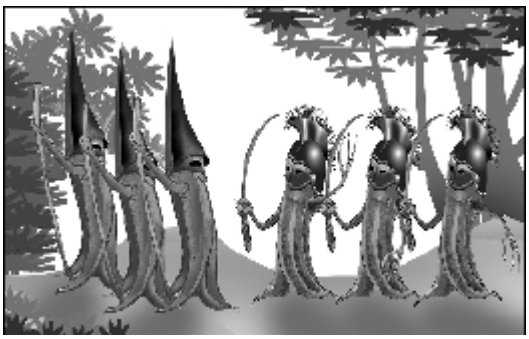

خرجتُ مع نينيت من تلك الغرفة الخشبية التي تركتنا فيها الساحرة كوانزا. حاولت أن أتناسى مشهد وجه ليلى الباكي، ورجاءها لي بألا أخرج وأعرِّض نفسي للخطر. هززت رأسي كأنني أحاول إزالة هذا المشهد من ذاكرتي حتى أتماسك وأتشجع على مواجهة الموقف.

ثبتت نينيت الجهاز الذي تُمسك به في جيب القميص الذي ترتديه، بحيث تُتيح للفتيات في الداخل أن يرينَ ما سوف نواجهه، وأخبرتنا أن هذه التقنية في التصوير تقاوم اهتزاز الجهاز ولا تبثُّ إلا صورًا ثابتة، وأصابتني الدهشة من الفكرة، ومن التقدم الكبير الذي يبدو أن الكوكب الأخضر قد سبقنا إليه من فترة طويلة.

اتجه إلينا قزم في هيئة شجرة صغيرة وهو يمدُّ إحدى يديه التي تشبه فروع الأشجار، وبدا أنه يريد أن يمنعنا من الخروج، لكن نينيت أخذت تُشير إليه وتقول له إنها ترى أن تساعد كوينزا، وأن عليه ألا يخشى شيئًا، ولكنه راح يقترب منّا ويصدر صوتًا مخيفًا وهو يشير إلى الداخل.

طلبت مني نانو أن أتعلق بظهرها وأمسك بها جيدًا، ففعلت، وبعد لحظة وجدتني طائرة في الهواء، إذ إنها قفزت قفزة هائلة من قفزاتها الغريبة، ولكني كنت في هذه المرة محمولة على ظهرها، وأكاد أموت من الرعب من المفاجأة، وبعد أن رحنا نتقلب في الهواء عدة مرات ارتطمنا أخيرًا بالأرض، غير أن نينيت استخدمت قدرتها الغريبة على مقاومة الجاذبية الأرضية، وهبطنا على الأرض بخفة وهدوء.

كانت أصوات الضجيج تُحيط بنا ولكننا لا نرى مصدرها. حفيف أقدام تركُض، وأصوات ارتطام، وطرقات خشبية ومعدنية، وأحيانًا أصوات صرخات أو آهات مكتومة غير واضحة، وكان هذا كله يبعث على التوتر والخوف، وكانت نينيت تمسح المكان بعينيها كأنها تبحث عن هدف تبدأ التوجه إليه، ولاحظنا حركة مريبة بجوارنا. سرعان ما أدركنا أنها حركة الأشجار القصيرة التي أدركت وجودنا فبدأت تقترب منّا، لكن نينيت طلبت مني ألا أتحرك إلا بناء على تعليماتها.

وكانت فروع الأشجار تهتزُّ بعنف. أشارت إليَّ نينيت أن أتبعها، فمشيت خلفها بحذر. كانت هناك تلَّة عالية قريبة صعدنا إلى قمتها، ومن هناك أتيح لنا أن نرى ما يحدث حولنا بشكل أفضل. لم نجد أثرًا لكوينزا، لكننا شاهدنا في الجهة الأخرى عقب مجموعة من الأشجار القصيرة الممتدة أمامنا ما يشبه معركة بين جانبين بدوَا لي كأنها مجموعات من الأشجار تحارب بعضها بعضًا.

كانت مجموعات محاربي الأشجار القصيرة التابعة لكوينزا تضع قبعات أشبه بأقنعة الفرسان القدامى المعدنية وتعلو كل منها شوشة خضراء، أما الأشجار التابعة للآليين فكانوا يضعون قبعات حمراء طويلة، وتخرج عيونهم من بين كومة الشجر التي يمثلونها، وبينما كانت الأشجار القصيرة تمسك بالعصيان التي كانت تتحول بين لحظة وأخرى إلى سيوف معدنية حادة وثقيلة يضربون بها الآليين بعنف. فإن الأشجار الآلية كانت تستخدم أشعة زرقاء تخرج من بين عينيها أحيانًا، أو من أطراف أذرعها أحيانًا أخرى، وكانت الأشجار القصيرة حين تصل إليها الأشعة تتوقف كأنها أصيبت بشلل وقتي.

قلت لنينيت إن هذه معركة حربية خطرة وتفوق قدراتنا كثيرًا، وشعرتُ أن علينا أن نعود لنجلس في أمان مع الفتيات، لكني لم أعبر عن مخاوفي لنينيت، خوفًا من أن تتهمني بالجبن.

اختلست نظرة إليها فبدت كالمذهولة، وهي تراقب ما يحدث حولها بفضول وتركيز كاملين. تحرك رأسها ببطء حركة دائرية كأنَّ رأسها تحول إلى آلة تصوير.

فماذا كانت ترى؟

طلبت مني أن أبقى ثابتة في مكاني، وألا أتحرك منه مهما حدث، وقد هززت لها رأسي وأنا أبتلع ريقي لأني اكتشفت أنَّ حلقي جافٌّ تمامًا، ربما بسبب شدة الخوف، وتماسكت، ووجدت نينيت تقفز متشقلبة في الهواء متحدية كل قوانين الجاذبية كما تفعل دائمًا، لكنها اختفت عن ناظري. ولم أعرف ماذا أفعل. كنت أقف على هذا التلِّ مما يجعلني أستطيع أن أرى أي شيء يمكن أن يمثل خطرًا عليَّ. وكنت أُنْصِتُ للأصوات المزعجة المستمرة، بين الأنين والصراخ وخطوات الأقدام، واهتزاز فروع الأشجار.

وبعد دقائق، وجدتُ نينيت أمامي أخيرًا. فتنفَّستُ الصُّعداء. أمسكت بي وقالت لي إنها كانت تحاول أن تكوِّن صورة لما يحدث بلا تشويش.

ولا يمكنني أن أصف ما قالته إلا بشكل مختلف، فقد كان عليَّ أن أضع نفسي مكان أحد طيور السماء، وأن أزيل كل الأشجار والفروع التي تحجب الرؤية من أعلى بحيث أرى حقيقة ما يجري.

وبهذا التخيل رأيت الساحة المواجهة لنا وهي تضم مجموعة مكونة من نحو ٤٠ شجرة آلية من تلك التي تضع القبعات الحمراء أعلى رؤوسها، وهي تهاجم أكثر من نحو سبعين قزمًا من الأشباح الذين يتخفون في هيئة الشجيرات وعلى رؤوسهم أقنعة الفرسان التي تعلو كل منها ريشة خضراء.

كانت الساحرة كوينزا في الواجهة، تعطي التعليمات بالهجوم لكي يقوم بها الأقزام أو المحاربون أصحاب الأقنعة الحمراء كما أسميتُهم، وكان هؤلاء الأشباح قادرين على إرهاق الأشجار الآلية، بالقفز العالي لتجنب الإشعاعات الحارقة، وبالدوران السريع لتفادي ضربات الآليين الخفية وفي الوقت نفسه، كانوا بعد أن يقفزوا ويهبطوا على الأرض يتقدمون بسرعة جنونية تجاه المحارب الآلي الذي يوجه الشعاع ويضربونه بالعصا بضربات قوية تطرحه أرضًا، وعندها يفقد القدرة على الحركة. خصوصًا لو وقع على ظهره.

قالت لي نينيت إنها يمكنها أن تستخدم بعض قدراتها التي كانت عاهدت نفسها ألا تستخدمها، لكي تضمن انتصار الساحرة في هذه المعركة، وتذكرت الطريقة التي أخذت تحرك بها يديها حين كانت معلقة على الحبال التي تأخذ شكل سلم، وطبعًا كان واضحًا أن لديها قدرات خاصة تُمكِّنها من القفز وتبطيء حركتها في الهواء، ولكني لم أستطع أن أتخيل أي قدرات أخرى يمكن لنينيت أن تتحلَّى بها.

شعرتُ بالضعف وقلة الحيلة الشديدة، فما الذي يمكنني أن أفعله الآن وسط هذه القوى الكبيرة. ساحرة في زمن يفترض أن السحر اختفى منه، ومحاربون أقزام يضعون قبعات حمراء ويمتلكون قوى خارقة، وكائنات آلية قررت أن تتمرَّد على من قاموا بابتكارها، ونينيت القادمة من الفضاء البعيد بإمكاناتها التي تختلف عن قوتنا الطبيعية نحن البشر.

كانت نينيت قد شردت، ويبدو أنها كانت تفكر فيما يمكن أن تقوم به، وفوجئنا بارتفاع أصوات صراخ وضجة كبيرة كانت أصواتها تقترب منَّا. كانت مجموعة من الأشجار القزمة قد اقتربت منا بسرعة ويبدو أنها كانت تهرب من شيء ما.

فوجئنا بالساحرة كوانزا تتقدم من بين كومة الأشجار وتركض تجاهنا. حين رأتني صرخت:

- «ما الذي جاء بكِ إلى هنا؟ ألم أطلب منكما البقاء مع الفتيات هناك عاليًا؟».

لم أعرف ماذا أقول، وقد راودتني فجأة الرغبة في البكاء، لكن نينيت قالت لها:

- «لا تخافي، أنا أحميها».

- «أنتما لا تفهمان شيئًا، الوضع أصبح بالغ الخطورة، لقد وصلت مجموعاتٌ أخرى من الآليين، ولم يعد بإمكاننا أن نقاوِمَهم».

قلتُ بصوت باكٍ:

- «يا إلهي! وما العمل الآن؟».

قالت كوانزا وهي تنظر إلى نينيت:

- «نانو، أحتاجك في مهمة صعبة، لكن لم يعد أمامنا حلٌّ آخر. سوف أتولى أنا أمر عالية وسوف أعيدها إلى الفتيات، أما أنتِ فسوف تسبقينني إلى موقع مدينة الأطلال التي مررنا عليها، هل تذكرينها؟».

قالت نينيت:

- «نعم.. نعم بالطبع».

- «هناك، ممرات سفلية تقود إلى زنازين، في تلك الزنازين هناك مجموعة من المساجين الذين ينبغي لنا أن نحررهم الآن، وسوف أخبرك بكل ما ينبغي أن تقومي به، وسوف ألحق بكِ في الوقت المناسب».

- «سأنفِّذ أي شيء تطلبينه».

- «انظري، بسبب التقدم الذي مرَّت به المدن الكبيرة في كينيا، صدرت قرارات حكومية منذ فترة بإيقاف منظومة القبائل؛ لأنها كانت تُعتبر ضد فكرة المواطنة القائمة على المساواة الكاملة بين المواطنين بعيدًا عن وجود زعماء للقبائل، وكذلك للقضاء على السحر؛ لأن كل زعيم من زعماء القبائل في كينيا كان يعتمد ويدعم مجموعة من السحرة الذين

يرعون الطقوس السحرية الخاصة بكل قبيلة، ومنذ عشرين عامًا انتهى كل هذا ووضع زعماء القبائل في سجن مدينة الأطلال، لكننا الآن في حاجة إلى كل قوى السحرة لكي نتمكن من إنقاذ كينيا من هؤلاء الآليين الذين يريدون السيطرة على كينيا ويحكمونها، ثم يتوسعون لحكم كل إفريقيا في المرحلة القادمة. هل فهمتِ؟».

أخذت نينيت تهرُشُ في رأسها، ثم قالت في تردُّدٍ:

- «لا أعتقد أنني فهمتُ تمامًا كل شيء، لكن ما أفهمه جيدًا هو أنني سأنفذ ما تريدينه».

في هذه اللحظة ارتفع الغبار من حولنا فجأة، ووجدنا مجموعة من الآليين الذين يشبهون البشر ولكنهم يضعون على أجسادهم سُتراتٍ معدنيةً فضيةً، بينما تضيء عينا كل منهم بأشعة ضوئية زرقاء غريبة، وقبل أن نفهم أي شيء، وجدت يدين معدنيتين تمسكان بي فأخذت أصرخ، وقبل أن يغشي عليَّ، رأيت نينيت تطير في الهواء متخلصة من بعض من أرادوا الإمساك بها، وقريبًا منها كانت كوانزا تنظر إليَّ من الهواء، طائرة مثل نينيت، وهي تردد لي بصوت عالٍ:

- «لا تخشي شيئًا سأنقذك منهم في أسرع وقت».

كاد قلبي يتوقف من الرعب، ورأيتُ الدنيا تتحول إلى اللون الأسود من حولي كأني أصبحت عمياء.

الفصل الخامس والعشرون: خدعة الرجال الآليين

انطلقت الآن صافرات إنذار رهيبة، شعر شادي أنه سيفقد حاسة السمع بسببها، لكن الرجل الذئب أخذ يرفع صوته ليؤكد للعلماء الذين أطلق سراحهم ومعهم شادي ألا يخشوا شيئًا، وأن ينفذوا تعليماته فقط.

سأل الرجل الذئب السيد «كينيان» عن مقر إدارة المحطة الفضائية، فأخبره أنها تحت الأرض، لكن «البروفيسور حبيب»، قال له إنه يعرف كيفية الوصول إليها.

تقدمهم البروفيسور حبيب، وسار تجاه الفناء الواسع الكبير الذي تُطِلُّ عليه ثلاثة مبانٍ متجاورة، مبانٍ زجاجية عاكسة، لا يرى من في خارجها شيئًا مما في داخلها. مبنيان يتكونان من خمسة طوابق، بينما يتوسطهما مبنى ثالث تعلوه قبة زجاجية ضخمة.

كان عليهم أن يسيروا في حذر لتجنب مجموعات الآليين الذين خرجوا للبحث عنهم، وقد طمأنهم الرجل الذئب أن كلَّ خلايا الاستشعار الحراري التي يتزوَّد بها هؤلاء الآليون لا يُمكنها أن تكتشف وجودهم لأن الإكسير السحري لا يُخفي الرؤية فقط، بل يمنع الإحساس بوجودهم أيضًا.

وهكذا ساروا جميعًا في صفٍّ واحد خلف البروفيسور حبيب، ثم شادي والبروفيسور جمال، وبعدهما الرجل الذئب، بينما فضَّل الدكتور كينيان أن يبقى في نهاية الصف بسبب جسده المتين، وكبر عمره الذي يجعله يسير ببطء.

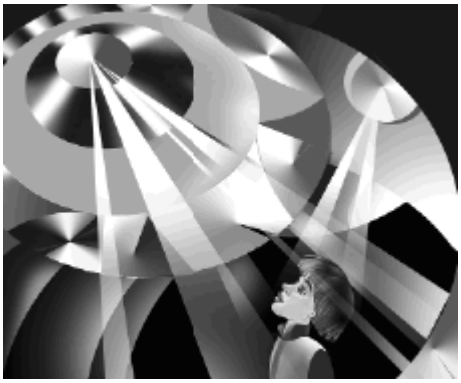

وصلوا إلى المبنى الأوسط، وداروا حوله، وأخيرًا توقف البروفيسور جمال عند منطقة عُشبية، أخبرهم أن إحداها مجرد باب سريٍّ لقاعة أرضية تقود إلى قاعة التحكم الرئيسة في الأسفل.

كان على الرجل الذئب أن يتأكد من أن أحدًا لن يهاجمهم من هذا المكان؛ فتمدد على الأرض ليضع أذنه على الموقع الذي أشار إليه جمال، ثم نهض قائلًا: لقد وضعوا حراسة كبيرة أسفل الباب السرِّي مباشرة.

قال لهم الدكتور كينيان إنه يعلم أن هناك بابًا سريًّا آخر، يُعتبر منفذًا للهروب، وأنه استخدمه مرَّة، خلال فترة عمله في وكالة الفضاء.

التفوا حوله وهم يبتسمون لهذا الاكتشاف. لكنه قال لهم بنبرة أسى:

- «المشكلة أن هذا المنفذ موجود خارج أسوار المحطة الفضائية».

شعر الجميع بالإحباط، لكن الرجل الذئب أخذ يفكر قليلًا، ثم قال:

- «انظروا، على السادة العلماء أن ينتظروا عند الباب السري هنا، وسوف أذهب أنا إلى خارج المحطة وأتسلَّل من الباب السري الثاني، وأقترح أن يأتي شادي معي».

وافق الجميع على الاقتراح، وكان على الرجل الذئب أن يجد طريقة للخروج من المحطة من دون أن يدرك الآليون ذلك، تأمل المحطة من حوله. كانت المباني الثلاثة تنتَصِبُ في المركز، وبعدها فناء طويل يصِلُ في النهاية إلى مِنصة إطلاق المركبات الفضائية.

كانت هناك ثلاث منصات إطلاق فضائية مُنتصبة، وقد تثبت في كل منها صاروخ تلتصِقُ فيه مركبة فضائية. تعلو جميعًا مستوى السور الأبيض الذي يحيط بمساحة محطة الفضاء الشاسعة. وكان بين كل منها مسافة لا تقل عن كيلومتر تقريبًا.

فكر شادي في أنهم يمكن أن يصلوا إلى الصواريخ ويصعدوا إلى قمَّتها، ثم يقفزوا منها إلى خارج السور، لكنه أدرك بسرعة أنها فكرة غبية وساذجة؛ لأنه لا يمتلك أيَّ قدرات تُمكِّنه من القفز بهذا الشكل، لكن الرجل الذئب أخبره أنه يمتلك مادة أخرى سوف يستخدمها قريبًا من موضع السور القريب من الباب السري الخارجي.

وحينما وصلوا إلى هناك، أخرج الرجل الذئب قنينة فخارية أخرى يحتفظ بها، فتحها وأسال منها بعض القطرات على الأرض فوجدها شادي وكأنها مياه حارقة، تحفر في الأرض بسرعة، وكأنها تشقُّ مجرًى أرضيًّا، فصرخ من شدة الانفعال.

وهكذا بدأا معًا يحفران ممرًّا من جوار السور، بأيديهما، بعد أن تقوم المادة السحرية بحفر جانب من الأرض، في كل مرة، بحيث يصنعان نفقًا صغيرًا يمكن لهما أن يعبرا منه للجانب الآخر خارج المحطة، وكان العلماء الثلاثة يراقبونهما وهم جالسون على الأرض، من دون أن يرى أي منهم الآخر، وإن كانوا يتعرفون على أماكن بعضهم بعضًا بسبب الأساور الملونة التي يلُفُّها كل منهم حول مِعصمه.

بدأ القلق يَنتابُ كلًّا من كينيان وجمال وحبيب، بسبب زيادة الحركة من حولهم، حيث راح الحراس الآليون يتوافدون من المحطة بحثًا عنهم، بينما توقفت صافراتُ الإنذار أخيرًا؛ بعد إعلان التحذير لكافة أعضاء المحطة.

وكان بين أسباب توتر وقلق فريق العلماء تشككهم فيما أخبرهم به الرجل الذئب من أنهم فقط من يمكنهم أن يروا بعضهم بعضًا، وليس لأي أحد آخر أن يتمكَّن من رؤيتهم.

ولم يمضِ وقت طويل حتى سمع العلماء الثلاثة طرقات خفيفة على الباب السرِّي الذي كانوا يجلسون بجواره، قبل أن ينفتح، ويأتيهم صوت شادي أخيرًا، وهو يطلب منهم أن يقتربوا لكي ينزلوا إلى داخل الممر السرِّي.

كان الباب عبارة عن غطاء لفجوة محفورة في سقف غرفة القيادة مباشرة، يهبط إلى نفق لا يُمكن لأحد أن يمُرَّ منه إلا على ركبتيه، حتى يصل إلى فجوة مفتوحة يتدلى منها سُلَّمٌ معدني يقود إلى قاعة القيادة.

وجدوا أنفسهم في قاعة شاسعة، وعلى جدار من جدرانها تجاورت شاشتان عملاقتان تعرضان مجموعةً من الخرائط إحداها لكينيا والأخرى لقارة إفريقيا كلها، وبجوار الشاشتين العملاقتين اصطفت مجموعة من الشاشات الأقل حجمًا التي رأوا على كل واحدة منها مجموعات من الخطوط البيانية.

وفي منتصف القاعة رأوا مكتبًا شبه دائري اصطفَّت أعلاه شاشات الحواسيب وأجهزة الاتصال والهواتف، ولكن المدهش أن هذه القاعة كانت كلها خالية تمامًا، ولم يتمكن أيٌّ منهم مِن فَهْمِ سِرِّ عدم وجود أحد. فقال شادي:

- «ربما أنهم توصلوا إلى الإكسير الخفي وأصبحوا مثلنا تمامًا غير مرئيين».

جلس البروفيسور كينيان على أحد الكراسي وأخذ يعبث في أزرار الجهاز أمامه، بينما راح البروفيسور حبيب يبحث عن موقع شاشات التحكم، وفي مركبات الفضاء الخارجية، وبجواره البروفيسور جمال الذي كان يتأمل التفاصيل محاولًا أن يصل بدوره إلى أي شفرة أو طريقة لإيقاف البرنامج الذي يدير الآليون بمقتضاه المحطة الفضائية.

بينما أخذ شادي يتأمَّل القاعة بانبهار، ويكاد قلبُه يقفزُ من صدره بسبب الشعور بالإثارة، فقد كان أحد أحلام حياته أن يزور مركبة فضاء، أو محطة فضائية فإذا به يقف في منتصف غرفة تحكم تام في واحدة من المحطات الفضائية المتطورة جدًّا.

أما الرجل الذئب فلم يكن يشغله سوى التحقق من لُغز اختفاء الآليين التام من غرفة التحكم.

وبعد دقائق قليلة صرخ البروفيسور كينيان:

- «أووووووف، اللعنـــة!».

انتبهوا له جميعًا في ذعر، فعاد يقول صارخًا:

- «علينا أن نخرج من هنا الآن بأي وسيلة. هذه خدعة رهيبة، لقد نقل الآليون غرفة تحكمهم لكي تكون في محطة فضائية طائرة، وسوف يفجرون هذه المكان بكل ما فيه في عدة دقائق».

الفصل السادس والعشرون: الغوريلّا في الزنزانة!

فتحتُ عينيَّ، وجدتُ المكان مُظلمًا. قلت لنفسي كيف أستيقظ مبكرًا هكذا في يوم الإجازة. نظرت إلى جواري فلم أجد ليلى، ثم أحسست فجأة بالذعر، فقد انتبهتُ إلى أنني لا يمكن أن أكون في غرفتي كما تهيَّأ لي، وتذكرتُ اللحظاتِ الأخيرةَ التي سبقت إحساسي باليدين المعدنيتين اللتين أمسكتا بي، ووجه الساحرة كوينزا وهي تطير في الهواء وتُخبرني أنها سوف تعود لإنقاذي.

شعرتُ بخوفٍ شديد. وتلفتُّ حولي، لكني لم أتمكن من رؤية أي شيء، ووجدتُ نفسي أتذكر لحظات شبيهة حينما تعرَّضت لموقف مشابه في زمن الفراعنة، ورأيت إلى جواري مومياء، وكدت أموت من الرعب، حتى اكتشفت أنها ليست إلا الأستاذ شادي وقد تم لفُّهُ في أغطية من الكتَّان تشبه تلك التي تُلَّف فيها المومياوات. استعدتُ، مرة أخرى، كلمات أبي عن الخوف، وتأكيده المُستمر أنَّ الرعب حالة تحدث في الدماغ، وأن كلَّ مشاهد الرعب التي نعرفها ليست إلا أمورًا مضحكة لأنها تحدث فقط في القصص الخيالية.

هتفت في سري: «لماذا يا بابا لا تصحبني مرة إلى هذه الوقائع الغريبة التي أمُرُّ بها حتى أؤكد لك أن الرعب حقيقي جدًّا حين يتعرض الإنسان لأي موقف مرعب؟».

تحسَّست الفراش الذي وجدت نفسي ممددة عليه، ولكن رائحة غريبة كانت تتسلّل إلى أنفي. أشبه بروائح المطهرات التي كنتُ أشمُّها في المستشفى.

نهضت ووضعت قدمي على الأرض، وفجأة سمعتُ صوت أزيزٍ مفاجئ فانتفضتُ صارخة، ووجدت هيئة لإنسان آلي يرتدي زيًّا فضائيًّا أحمر، ورأسه يبدو مثل شاشة، فعدت أصرخ بذعر. حتى أتاني صوت كأنه يخرج من قنينة معدنية:

- «اهدئي يا عالية، لقد جئتُ لإنقاذك. أنا هاسينا، من محطة الفضاء الكينية الرئيسة، لقد تمكنتْ صديقتك نانو من إنقاذكِ. هيا بنا، ولا تخافي».

حين مددت إليها يدي وأمسكت بها، شعرت بأن يدي ساخنة جدًّا تكاد تحترق. صرخت من الألم. لكنَّها ظلّت ممسكة بيدي. حين حاولت الحركة اكتشفتُ أنني غير قادرة نهائيًّا على الحركة.

تنفَّست بصعوبة وأنا أتأرْجح بين الخوف الشديد والرغبة في الهرب، ولكن عدم قدرتي على الحركة أشعرني بثقل غريب في قلبي، وحتى حينما حاولت الصراخ اكتشفت أنني غير قادرة على إصدار أي صوت.

استيقظتُ مفزوعة، فنهضت بسرعة من الفراش، وأدركت أن كل ما رأيته لم يكن سوى حلمٍ غريب. رأيت ليلى بجواري، واكتشفت أنني غارقة في العرق، وقبل أن أفعل أيَّ شيء فتحت ليلى عينيها وحين رأتني مستيقظة نهضت ووضعت يدها على كتفي وأخذت تسألني عمَّا بي.

نظرتُ إليها بخوف وقلق، ولكني حين تأكدت أنها ليلى شعرت براحة كبيرة، لكني لم أرد عليها. ودفنت رأسي في الوسادة وأخذت أبكي.

راحت ليلى تربت عليَّ وهي تحاول تهدئتي. قالت لي إن كوانزا تمكنت من إنقاذي من الآليين بسرعة، وأنها قامت بإحضاري إلى هنا بمساعدة بعض الأقزام، وأنها لحقت بنينيت في مدينة الأطلال.

وحين رأت دهشتي قالت لي وهي تُطمئنني إن الساحرة تركت مجموعة كبيرة من الأقزام الذين يحيطون بالكوخ، وكذلك في أسفل الشجرة التي يقع الكوخ أعلاها، لحمايتنا، وبحيث لا يتمكن أي أحد من الآليين من الوصول إلينا.

كنتُ أبكي، لكني بدأت أهدأ تدريجيًّا، وسرعان ما انتهى إحساسي بالخوف وبدأ الإحساس بالاطمئنان يُراودني.

سمعت صوت دليلة وهي تقترب مني وتقول إنني أصبتهن جميعًا بالقلق الشديد؛ لأنني ظللت غائبة عن الوعي لعدة ساعات.

تأكدتُ من تجفيف دموعي في الوسادة، ثم نهضت وابتسمت لها، وفتحت لها ذراعي فاقتربت مني واحتضنتني، وبعدها نعومي، ثم دليلة، وأخيرًا اقتربت مني ماريديا، وأخذت تمسح على شعري وهي تطمئنني قائلة:

- «لا تبكي عزيزتي عالية، أنت فقط لا تعرفين الساحرة كوانزا، هي قادرة على فعل أشياء كثيرة، وسوف تريْنَ».

شعرتُ بالخجل من نفسي. قالت لي ليلى إننا يُمكن أن نتابع ما يحدث مع كلٍّ من نينيت والساحرة كوانزا من خلال الشاشة التي ابتكرتها نينيت، لكي نشاهد فيها ما يحدث لها.

فنهضنا ورحنا نتأمل ما يحدث في ترقُّبٍ وتوتُّر.

رأينا على الشاشة الإلكترونية الصغيرة مدخل مدينة الأطلال، وكان المكان هادئًا تمامًا كما رأيناه من قبل. ثم تبيَّن لنا أن نينيت تقترب تدريجيًّا من أحد الأبواب الجانبية في ممر من الممرات التي تفصل بين البيوت الأثرية العتيقة الموجودة هناك. توقفت الصورة قليلًا، وجاءنا صوت نينيت.

«أنا الآن سأدخل إلى الممر الخلفي لزنازين زعماء القبائل، كما طلبت مني كوانزا، وسوف أحاول إطلاق سراح كل السجناء، وأتمنى أن تصل كوانزا في الوقت المناسب».

ابتسمنا جميعًا حين استمعنا لصوت نينيت بطريقة كلامها الغريبة، لكننا جميعًا تمنيْنا لها النجاح في مهمتها.

راحت نينيت تمشي ببطء في ممرٍّ مُعتم، سرعان ما أضاءته بإضاءة من كشَّافٍ صناعي صغير، مثبت في جهازها الآلي، تحمله معها دائمًا. كان الممر قد أصبح الآن واضحًا بسبب الإضاءة؛ مساحة ضيقة بين جداريْنِ حجرييْنِ. وأخذت تتوقف بين آنٍ وآخر لتتأمل الجدران التي رسمت عليها رسومات لحيوانات مختلفة الأشكال.

ثم بدأت تتقدم مرة أخرى حتى وصلت إلى بهو حجري خالٍ تمامًا، وأوسع كثيرًا من مساحة الممرِّ، ينتهي بجدار في الواجهة شعرنا أنه يؤدي إلى سدٍّ ليس بعده شيء. اقتربت نينيت من الجدار، وأخذت تتأمله وهي تسلِّط الإضاءة على أجزاء مختلفة من الجدار، حتى اكتشفت أن هناك فتحة صغيرة في الأسفل، يمكن أن يمرَّ منها شخص واحد، فنزلت بحذر، وأصبحنا لا نرى الآن إلا الجدار المواجه لها وهي تنزل خطوة بخطوة.

وصلتْ نينيت أخيرًا إلى أرض النفق، وتوقفتْ وهي تتأمل المكان بالإضاءة، ولكنها وجدت أن الجزء الثاني من الممر في هذه المرة مضاء بمصابيح إضاءة مثبتة في سقف النفق.

راحت تتلفت حولها، ويبدو أنها كانت تتوقع أن يظهر لها أي أحد، لكن لم يظهر أحد، وبعد لحظات من المشي المتوتر وجدتْ إلى يسارها بابًا خشبيًّا فتوقفتْ. ظهرت عليها الحيرة.

فجأة سمعت صوتًا يأتي من خلف الباب، لكنها لم يَبْدُ عليها الخوف أو الذعر، فقلت لنفسي إن نينيت بالتأكيد قد لا تعرف نفس المشاعر التي نعرفها نحن، فهي في النهاية مزيج من كائن آلي وبشري معًا، أو هذا على الأقل ما أعرفه عنها حتى الآن.

استخدمت عدة لغات باستخدام جهازها الآلي الذي يُساعدها في الترجمة، وطلبت ممن يقف خلف الباب أن يبتعد.

أخذت تتحسَّس موضع مقبض الباب، الذي يبدو أنه لم يتحرك من مكانه منذ زمن طويل، ودفعته بقبضة يدها بقوة هائلة لا يمكن لأي أحد ممن يراها أن يتخيل أنها تملك مثل هذه

القوة، إذ انكسر الباب مندفعًا إلى الداخل بكامل كتلته، مخلِّفًا صوتًا قويًا، وارتفع في الجو غبار رهيب من أثر سقوط الباب على أرض تلك الحجرة الداخلية.

انتظرت نينيت في مكانها، قليلًا، ثم أخذت تحرك يدها بالجهاز في يدها لأن الغرفة كانت معتمة، وسرعان ما ظهر شبح أمامنا، لكن نينيت لم تتحرك من مكانها أو تصدر أي ردة فعل.

وجدنا قردًا كبيرًا يُشبه الغوريلا، يقف في مواجهتها، لكنها لم تَخَفْ منه، بل مدَّت يدها تُسلم عليه كأنه صديق قديم، لكن الغوريلا لم تتحرك بل سألت قائلة:

- «أمابايينى بال؟».

فجاءني صوت دليلة على الفور بجواري وهي توضح لي:

- «هذه الغوريللا تتحدث بالسواحيلي، وهي تسأل نينيت عمن تكون».

أخرجت نينيت جهاز الترجمة وردت بالسواحيلي قائلة:

- «أنا قادمة إليكم من طرف الساحرة كوانزا؟ هل تعرفها؟».

وتولت دليلة الترجمة الفورية لنا، فقالت الغوريلا:

- «آه، أنت صديقة كوانزا، هذا رائع. لكن كيف وصلت إلى هنا؟ نحن هنا منذ سنوات طويلة جدًّا، ولم يعرف مكاننا أحد».

- «قلت لكِ إن كوانزا شرحت لي كل شيء».

- «حسنًا وماذا تريدين منا؟».

- «لا أريد شيئًا. أخبرتني كوانزا أن أحرركم من زنزانتكم».

- «ولكن هذا الأمر تأخر كثيرًا».

- «لماذا؟».

- «لأنني وعدد من رؤساء القبائل قد تعرضنا لسحر شرير».

- «سيدي الغوريلا، أنا لا أفهم ما تقول».

- «لست غوريلا، أنا زعيم إحدى القبائل، ممن ألقي القبض عليهم عندما قرروا في بلادنا أن ينهوا نظام القبائل، وقد سجنوا معنا كبار السحرة من كل قبيلة، وصحيح أننا لم نقبل فكرة السجن، ورُفضت كل وعودنا بالخروج خارج كينيا، لكننا في النهاية قلنا إن هذا حكم أصدرته كبيرة قضاة كينيا ولا بدَّ أن نمتثل لها. كلنا امتثلنا. إلا واحدًا من كبار سحرة قبيلة مغمورة صغيرة العدد، لكنه كان ساحرًا قويًّا، قرأ علينا تعويذة فمسخنا جميعًا، أنا وأحد عشر زعيمَ قبيلة آخرين، تحول كل منا إلى غوريلا، كما ترين. والآن أيضًا ضمرت عيوننا؛ لأننا لم نَرَ الضوء منذ أكثر من عشر سنوات الآن، ففقدنا جميعًا حاسة البصر».

- «أوه، أوه، هذه أمور غريبة وعصيَّة على فهمي. لم يحكِ لي مجداشي شيئًا من هذه الأمور الغريبة من قبل».

ظل الرجل الغوريلا الذي لا يرى شيئًا واقفًا ولم يرد عليها؛ لأنها قالت ذلك بلغتنا نحن، وانتبهت أنها سوف تتأخر على تنفيذ المهمة، فقالت:

- «على أي حال يا سيدي. هل يمكن أن تدُلَّني على مكان بقية السجناء؟».

- «إنهم في العشر زنزانات التالية، ولكن أين ذهب الحراس؟ كيف يتركوننا هكذا بلا حراسة؟ ألم يكن من الممكن أن نهرب؟».

نظرت إليه نينيت، ولم تعرف ماذا تقول. ثم أعادت ما قاله بالحرف الواحد بالسواحيلي. ثم بدأت تضحك ضحكتها الغريبة.

فسألها الرجل الغوريلا:

- «ماذا بك أيتها الإنسانة. هل تسخرين مني؟».

- «لا، لا. أنا فقط أفهم الأمور بطريقة مختلفة لأنني لست من كينيا. اسمح الآن أن أسرع بفتح بقية الأبواب قبل أن تصل كوانزا؛ لأن بلادكم تواجه أزمة كبيرة ولا بدَّ أن تشاركوا أهل كينيا في حلها. انتظرني هنا حتى أعود إليك».

كنت وليلى نكاد لا نصدق ما نرى، وكأننا بالفعل نشاهد فيلمًا خرافيًّا غريبًا. لولا أننا نعرف أننا في كينيا، وأن نينيت هي الإنسانة الفضائية التي أصبحت صديقتنا منذ تعرفنا عليها.

وقد تكرَّر نفس ما فعلته نينيت تقريبًا مع كل باب، ودار نفس الحوار مع شخصيات كلها قالت إنها غوريلا تعرضت للسحر.

ووصلت كوانزا أخيرًا، وهي تتقدم مجموعة من المحاربين ذوي القبعات الحمراء، ثم تبادلت فورًا حوارات طويلة مع مجموعات الغوريلا المسخوطة، وهي تبدي تعجُّبها أحيانًا، ثم يتبادلون المواقع ويُصابون هم بالدهشة عندما تحدثهم هي، ويبدو أنها كانت تحكي لهم عن تفاصيل ما تعرضت له كينيا من هجوم الآليين، وفهمنا أيضًا من ترجمة دليلة أن مجموعة الغوريلا كانوا يحكون لها ما مرّوا به في هذه الزنازين.

انتهت نينيت من مهمتها وجاءت لتقترب من كوانزا، فشكرتها كوانزا، لكنها كانت تشعر بالحيرة.

قالت لها إنها لم تتوقع أن يتعرض رؤساء القبائل لهذا النوع من السحر الشرير؛ لأنهم بهذا الشكل لن يكون لهم أي تأثير على السحرة المسجونين في الأسفل.

فقالت لها نينيت:

- «وهل هناك سحرة أيضًا؟».

- «طبعًا، وهم من جئتُ من أجلهم، لكنهم في زنازين أخرى أسفل هذا الطابق».

نظرت كوانزا تجاه الغوريلات الذين كانوا يطالعون نينيت بدهشة وحدثتهم باللغة السواحيلية قبل أن تطلب من أحدهم أن يقودهم إلى زنازين السحرة.

ومن خلفه ساروا جميعًا تجاه نهاية الممر الذي يضم زنازين زعماء القبائل.

الفصل السابع والعشرون: العَدُّ التّنازُلي للتّفجير!

غاص قلب شادي في صدره، وشعر بأنَّ جسده كله قد أصبح باردًا بمجرد أن سمع كلمة «تفجير»، وأخذ يُحدِّق إلى وجه البروفيسور كينيان، ليتأكد إذا ما كان يتحدث بجديَّة أم أنه يمزح مزحة سخيفة ومرعبة، لكنه بدأ يشعر بأن ساقيْهِ ترتعشان حين أدرك أن كينيان لا يمزح، فقد رأى الجديَّة والخوف أيضًا على وجهه، كما رأى حبَّات عَرَقٍ تَنْتَثِر على وجهه.

ولا يبدو أن الرجل الذئب قد فهم معنى كلمة «تفجير»، فاقترب من شادي وسأله:

- «قُل لي أيها الفرعون الصغير، ماذا تعني كلمة تفجير؟».

وبصوت مُرتعش أجابه شادي:

- «ت.ف.ج.ي.ر. يا إلهي! أنت حقًّا لا تعرفها؟ إنها تعني.. تعني.. أن يتم تحويل هذا المكان إلى حطام وغبار في بضعة ثوانٍ».

- «ولكن كيف؟ هذا عمل صعب جدًّا يستغرق أيامًا وأيامًا. هل لديكم آلات هدم للحجارة والبناء قوية إلى هذا الحد؟».

- «سأشرح لك لاحقًا أيها الرجل الذئب. المهم الآن أن نهرب من هنا بأقصى سرعة وإلا تحوَّلنا نحن أيضًا إلى مجرد غبار».

ورغم أن الرجل الذئب -على ما يبدو- لم يفهم تمامًا ما يقصده، لكن الخوف الشديد على ملامح وجه شادي، وعلى ملامح العلماء أيضًا، جعله يفكر بسرعة في أسرع وسيلة للهرب، فقال لهم إن عليهم أن يتبعوه إلى الممر السري الذي يقودهم إلى الجهة الأخرى من المحطة.

لكن البروفيسور جمال، وكان متخصصًا في هذا المجال، طلب منهم أن ينتظروا قليلًا ليحاول إيقاف عملية التفجير، فقال شادي:

- «أعتقد أن هذا الأمر يُعرِّضنا جميعًا للخطر سيدي البروفيسور، علينا أن نكسب الوقت للخروج من هنا».

لكن جمال قال له:

- «اهدأ قليلًا يا بُني. فربما تمكنَّا من إنقاذ هذه المحطة. فلو تفجرت، ستكون كارثة كبيرة، وسوف نحتاج إلى سنوات أخرى كثيرة لإعادة بنائها. لو أردتم أنتم فاسبقوني إلى الخارج، وسوف أنتهي من مهمتي وأخرج خلفكم. من حسن الحظ أن المكان قد أخلي من الآليين، وهذا سيجعلني أنتهي من مهمتي بسرعة».

وأسرع جمال مقتربًا من مكان البروفيسور كينيان، واستأذنه أن يُتيح له الفرصة فأفسح له الأخير ونهض من مكانه في أقصى طرف المنضدة الدائرية التي تضُمُّ الأجهزة ولوحات التحكم المختلفة.

تأمل جمال الجهاز المبرمج للتفجير لعدة ثوانٍ، ثم نهض بسرعة، وأسرع إلى جهاز من أجهزة الحواسيب الموضوعة على المنضدة النصف دائرية القريبة. كان الجهاز يعمل بالفعل.

وهنا وجد شادي الفرصة سانحة ليشرح للرجل الذئب أن عملية التفجير هي وسيلة تدمير وصل إليها الإنسان من خلال علوم الكيمياء، بإنتاج مادة تسمى «تي إن تي»، وحين يتم توصيل الحرارة إلى هذه المادة تنفجر، وحاول أن يقرب له الفكرة قائلًا إن الأمر يبدو مثل البرق في السماء، وأضاف مستدركًا: لكن الأمر هنا لا يكون مجرد وميض ضخم، بل يتحول الأمر إلى قوة تدمير هائلة تُفتت كل ما حولها إلى ذرات صغيرة، أيًّا كان، حجرًا أو بشرًا.

رفع الرجل الذئب حاجبيه بدهشة وقال:

- «كيف وصلتم إلى هذه الأفكار الشيطانية؟ أنتم بهذا يمكن أن تدمروا كل شيء، أليس كذلك؟».

- «لا يقوم بهذه الأعمال إلا بعض الأشرار يا سيدي. الناس العادية لا تفعل مثل هذه الأشياء».

- «على أي حال، ليس هذا وقت مثل هذه الحوارات. نحن يجب أن ننصرف من هنا بسرعة في كل الأحوال؛ لأن الفرعونيتين الصغيرتين عالية وصديقتها في خطر كبير. ما كان عليَّ أن أستمع لكلماتك أبدًا لكي نأتي إلى هنا».

- «عالية وليلى في خطر؟ كيف؟ ومتى عرفت ذلك؟».

- «عرفت ذلك من البلَّورة السحرية وقبل أن آتي هنا لإنقاذك».

نظرا معًا صوب جمال الذي انهمك في طرق مفاتيح جهاز الحاسوب، بينما وقف بجواره كل من كينيان وحبيب وهما يتأملان ما يقوم به بتركيز شديد، وعلى وجهيهما الأسمرين

ملامح الجدية، وقد تقطَّب جبين كل منهم. بينما كان وجه كينيان لا يزال يقطر عرقًا بشكل متواصل.

شعر شادي فجأة بالاختناق، ولاحظ أن الدكتور كينيان بدأ يَسْعل هو أيضًا؛ فصرخ البروفيسور حبيب قائلًا:

- «يبدو أن هناك محاولة لتفريغ المكان من الأكسجين. أنا لا أستطيع أن أتنفس».

بعد لحظات أخرى تنفَّس جمال في عمق وقال:

- «لا أعتقد أنني نجحت في إيقاف برمجة التفجير. لكني على الأقل نجحت في تأخير وقته لمدة ٢٤ ساعة وأظنها كافية لإيجاد حلٍّ أكثر فاعلية لإيقافها نهائيًّا بعد أن نخرج من هنا. هيا بنا».

ويبدو أن حُسن الحظ، وربما بسبب الخوف، والإحساس بالاختناق الذي أصابهم جميعًا بسبب نقص الأكسجين أن كان دافعًا لهم جميعًا لأن يركضوا بأقصى ما يملكون جميعًا من طاقة.

تتابعوا بعضهم خلف بعض يقودهم شادي والرجل الذئب؛ لأنهما يعرفان خارطة الممَرِّ السرِّي الذي يقودهم إلى الخارج.

وقد وصلوا إلى الجهة الأخرى من الممرِّ بالفعل في زمن قياسي، لكن بمجرد خروجهم من البوابة السرية الخارجية، وصعودهم إلى الأرض أخيرًا، سقط البروفيسور كينيان على الأرض، وهو يُمسك صدره، واتجه إليه البروفيسور حبيب، وضع أذنه على صدره، وقال إن الرجل تعرض لأزمة قلبية غالبًا بسبب المجهود.

وشعر شادي بالقلق والتوتر بمجرد أن سمع كلمة أزمة قلبية، لكن لم يبْدُ هذا القلق على وجه أيٍّ من البروفيسور حبيب أو حتى جمال.

قال جمال:

- «نشكر الأطباء الذين توصلوا بفضل الكيمياء إلى أدوية علاج الأزمات القلبية».

وأخرج من جيبه علبة دواء معدنية، تناول منها حبة دواء صغيرة، وقال إنهم سيحتاجون إلى بعض المياه لكي يمكن للبروفيسور كينيان أن يأخذ الحبة بسرعة، وتبيَّن للجميع أنهم لا يمتلكون ولا جرعة مياه واحدة، وأحس شادي في هذه اللحظة بجفاف حلقه، وتذكر أنه لم يتناول المياه منذ فترة طويلة جدًّا.

لم يكن أمام الرجل الذئب إلا أن يقترح أن يعطوا البروفيسور جرعة أخرى من المشروب السحري الخاص بالاختفاء وهو يقول:

- «لا بأس لو ظل السيد كينيان مختفيًا لفترة أطول، فالأهم الآن أن ننقذ حياته».

تناول منه البروفيسور جمال القنينة، مبتسمًا، وأخذ يحاول أن يعطي المريض الحبة حتى يتجاوز أزمته القلبية في أسرع وقت.

أخرج الرجل الذئب من جيبه، في هذه المرة، بوقًا من قرن غزال قديم، ونفخ فيه بقوة، فسرى صوت قوي جدًّا في الفضاء. وبعد دقائق، كان الفرس السحري وعربته الفرعونية يقفان أمام المجموعة، وسط ذهول العالمين جمال ومحبوب، اللذين طلبا مساعدة الرجل الذئب ليحمل معهم البروفيسور كينيان لنقله إلى ظهر العربة الفرعونية الغريبة. بعد أن أخذوا يتأملون الفتى الكيني المربوط بالحبال والممدد في العربة.

الفصل الثامن والعشرون: الأشجارُ آكلةُ البشر!

كنتُ أشعر -رغم الخوف- بنوع من تأنيب الضمير، فقد كنت أتمنى ألا أكون هنا جالسة أمام شاشة أتابع ما تقوم به نينيت، بينما هي تعرِّض نفسها للخطر. شعرت أيضًا بأنها شخصية نبيلة، تحب الخير ومساعدة الآخرين، وتمنيت لو أنَّ لي مثل شجاعتها.

كنا نتابعهم الآن على الشاشة، وقد تقدم المجموعة واحد من الغوريلا، الذي أخذ يتحسَّس الطريق أمامه؛ لأنه أصبح كفيفًا، ولكن من خلفه مباشرة كانت كوانزا تشرح له ما تراه، وتوجهه، حتى لا يرتطم بشيء. هبطوا على درج حجري عتيق، كوانزا ونحو خمسة من المحاربين التابعين لها، ثم كافة أفراد الغوريلا الآخرين، وخلفهم جميعًا كانت نينيت تسير وهي تراقبهم بفضول.

وصلوا إلى الطابق السفلي، ولم يكن ممتلئًا بالزنازين مثل الطابق العلوي، بل كان ممرًّا ضيقًا بين جدارين. وأخيرًا وصلوا إلى باب حجري مُصمت بدا أنه يقود إلى غرفة مغلقة، وتحدث الغوريلا في أول الطريق ليشرح شيئًا لكوانزا.

أخبرتنا نعومي أنه يقول إن السحرة جميعًا تم وضعهم معًا في زنزانة واحدة، وتم إغلاقها بهذه الطريقة حتى لا يهربوا باستخدام وسائل سحرية أخرى، وكان الباب من الحديد الصلب، فقالت لنا نعومي إن السحرة لهم تأثير كبير على أي شيء مصنوع من الخشب، ولهذا صنعت لهم أبوابًا من الصلب.

وأخيرًا، وبعد محاولات مُستميتة من المحاربين، وتعاويذ سحرية أطلقتها كوانزا، وتدخل نينيت بإمساك آلة صلبة والدوران بها بحيث تتحول إلى مِثقاب، نجحوا في فتح الباب الثقيل في النهاية.

انفتح الباب ببطء وحذر، وهو يصدر صوتًا عاليًا يُشبه أنين رجل مريض. فوجئوا أن الزنزانة الواسعة جدًّا كانت خالية تمامًا. أرض حجرية غير ممهدة، لا يوجد بها أي شيء، تمتلئ بالغبار، وبعض آثار الدماء التي تبقعت بها الأرض، كما رأوا عددًا من الصحون المعدنية الموضوعة قريبًا من جدار تعلوه نافذة مغلقة ومربوطة في سلاسل صغيرة.

وفجأة ظهرت في سماء أجواء الزنزانة مجموعة من الخفافيش الغريبة، بيضاء اللون، التي راحت تحلق في المكان. فتوقفت كوانزا، وأخذت تقول شيئًا، وفسرت لنا دليلة قولها بأن السحرة حوَّلوا أنفسهم إلى خفافيش حتى لا يمكن لمن سجنوهم أن يصلوا إليهم، وربما حتى يتمكنوا من الهرب بسهولة.

كنت مدهوشة جدًّا من هذه القدرات غير الطبيعية التي يتحلى بها السحرة هنا، ولكن بصراحة كان تتابع الأحداث يمنعُني حتى من الاسترسال في التفكير في هذه الخواطر.

المُدهش أن هذه الخفافيش البيضاء الكبيرة غريبة المنظر، وبمجرد أن سمِعت صوت كوانزا حتى رأيناها وقد اصطفَّت في صف واحد، وبعدها بدأت تسقط على الأرض، واحدًا بعد الآخر، وتسكن حركاتهم تمامًا كأنها تعرضت للموت.

اقتربت كوانزا من أحدهم، وأخذت تتحدث إليه، ولم يسمع أحد شيئًا مما كانت تقوله، أو ما يُقال لها، لكن الواضح أنها كانت تفهم أو تسمع شيئًا لا يسمعه غيرها. نهضت أخيرًا، وقالت للجميع إن السحرة فرُّوا من المكان وتركوا هذه الخفافيش لكي يحذروهم لو وصل أحد إلى هنا. وحين سألوها عن المكان الذي اختبأ فيه السحرة قالت لهم إنها تعرف المكان، وطلبت من الجميع أن يتبعها.

* * *

أصِبْتُ بالذعر، من شكل الخفافيش، رغم أنها كانت جميلة المظهر. غالبني الإحساس بالنُّعاس، وشعرت أن جفوني ثقيلة وأنني لم أعُد قادرة على مقاومة رغبتي الشديدة في

النوم، وجاءت لنا ماريديا بصينية كبيرة عليها صحون بها فاكهة وبعض المياه، فتناولنا منها الكثير، وشاركتنا دليلة ونعومي الطعام، ولكنني بعد ذلك أحسستُ أنني بالفعل لم أعُد قادرة حتى على فتح فمي لتناول الطعام، وسقطتُ نائمة غائبة عما يدور حولي تمامًا..

لا أعرف كم استغرقتُ من الوقت وأنا نائمة، لكني حين فتحتُ عيني، واستعدتُ الأحداث نهضتُ بسرعة وأسرعت إلى ليلى لكي تحكي لي ما حدث خلال الفترة التي نمتُ فيها.

قالت ليلى:

«فاتكِ الكثير عزيزتي عالية. هل تعرفين أن السحرة كانوا مختبئين قريبًا منّا جدًّا. اختاروا شجرة ضخمة في مدينة الشجر وجعلوا منها مسكنًا لهم، تصوري؟! لقد كانوا قريبين منّا جدًّا، ولم نشعر بهم، وكذلك الساحرة كوانزا، وقد تمكن أحد الخفافيش من أن يكون دليلًا لكوانزا ورجال القبائل المسخوطين، ونينيت والأقزام».

وبعد رحلة من البحث وتفتيش الأشجار المختلفة التي مروا عليها، تمكنت الساحرة كوانزا من الوصول إلى مكان الشجرة التي اختبؤوا بداخلها. قالت لزعماء القبائل وكل من رافقها إنها ستدخل بمفردها إلى موقع اختباء السحرة الهاربين، وطلبت منهم ألا يتحركوا من أماكنهم حتى تخرج إليهم، فقد كانت أحجام الغوريلات ضخمة وكبيرة بالنسبة إلى الفتحة التي تؤدي إلى داخل الشجرة، ومرَّ وقتٌ طويل قبل أن تعود خارجة، وبعد لحظات أخرى رأيْنا خلفها خمسة كائنات لا يمكن لأحد أن يفهم هل هم بشر أم قردة أم أشجار. كانت أشكالهم غريبة جدًّا.

استقبلهم زعماء القبائل المُحَرَّرين من الزنازين بالصُّراخ، وساد هرَجٌ ومرَجٌ، وبدأ السحرة الخارجون من داخل الشجرة في الرقص

بطريقة غريبة. ثم أبلغهم الغوريلا الأكبر، وواضح أنه ربما زعيم أكبر القبائل بما يواجهون من متاعب، وشرح لهم كافة الأحداث التي مرت بها كينيا بمهاجمة الآليين لها، وقالوا إنهم لا بدَّ أن يقوموا بنزع السحر الأسود الذي تعرضوا له وأصبحوا بسببه مسوخًا يشبهون الغوريلا.

شعرتُ أنني أصبحتُ متيقظة تمامًا الآن، بل شعرتُ ببعض الإثارة، وأحسستُ بدقات قلبي المتسارعة وكأنني رأيتُ ما تحكيه ليلى فقلت لها:

- «لقد فاتني الكثير جدًّا يا ليلى!».

هزَّت ليلى رأسها وقالت:

- «لولا أني وجدتُك مستغرقة في النوم بشكل عميق جدًّا لما ترددت في إيقاظك، لكن المهم الآن أننا تلقينا رسالة من نينيت عن طريق جهازها التلفزيوني أخبرتنا فيها بضرورة التحرك من هنا بسرعة تجاه مدينة الأطلال، لنلتقي بها هي والساحرة كوانزا».

* * *

طلبث منا ماريديا أن نتبعها، فخرجنا من الغرفة التي نُقيم فيها أعلى الشجرة، ورحنا نركض خلفها تقريبًا. سلكت نفس الطريق العلوية عبر الجسور الخشبية التي تصل بين الأشجار، وهي تؤكد علينا بضرورة ألا نتحدث بعضنا مع بعض أو نصدر صوتًا، كما أكدت علينا ألا ننظر إلى الخلف مهما حدث ومهما سمعنا. قالت لنا إن الغابة ستتعرض كلها لسحر قوي جدًّا، وسوف يتهيَّأ لنا أننا نسمع أصواتًا غريبة، ولكن علينا ألا نلتفت إلى هذا كله.

أمسكتْ دليلة بيدي، بينما أمسكتْ نعومي بيد ليلى، استجابة لما نصحتنا به ماريديا.. وكان الليل قد بدأ مرة أخرى، لكن ماريديا كانت تُمسك بمصباح إضاءة قوي كان يضيء لنا الطريق.

وفي الممر الطويل الذي كان يقودنا تقريبًا إلى نهاية مخرج مدينة الأشجار بدأنا نسمع أصواتًا غريبة؛ سمعنا ما بَدا لنا كَرَفيفِ طيور عالٍ وصاخب، أولًا، ثم سمعنا صرخات غريبة، لا تبدو كأنها أصوات بشرية، لكن صراخها حزين ومؤلم.

داهمني الإحساس بالخوف بشكل قوي، ويبدو أن دليلة كانت تشعُر بمخاوفي فتزيد من قوة قبضتها على يدي لتحاول أن تخفف عني الإحساس بالخوف، ولكن الأصوات ارتفعت من خلفنا بشكل مرعب، إلى درجة أن ليلى من فرط الإحساس بالرعب، فقدت فجأة القدرة على المشي وسقطتْ على الأرض، واندفعتُ إليها، أنا ودليلة، لكني وقعت أيضًا وانقلبت على ظهري.

نظرتُ إلى الطريق الذي كنَّا قد سلكناها، ورأيتُ أغرب ما يمكن أن يراه الإنسان في حياته.

رأيت الأشجار من خلفنا كلها تتحرك وكأنها تقف على أقدام. تتحرك يمينًا ويسارًا، ثم نجدها وقد حوَّلت فروعها إلى أذرع مَرِنَة تُشبه أذرع الأخطبوط، وفي كل ذراع من أذرعها رأيتُ قزمًا من الأقزام الآلية، وهو يصرخ ويحاول الإفلات من قبضة الشجرة بلا أي قدرة على التَّمَلُّصِ، ثم رأيتُ شجرة عملاقة تفتح الكوَّة الكبيرة التي تتوسط جذعها، وكأنها فمُ حوتٍ ضخم، ثم تُسقط فيه الأقزام الذين التقطتهم بأغصانها، وبعدها أخذت الفجوة تنغلق وتنفتح تمامًا كما نفعل حين نحرك فمنا لنمضغ الطعام، فبدت لي كأنها تحولت إلى كائن خرافي يلتَهِمُ الأقزام.

حينما أدركت ماريديا أننا شاهدنا المشهد، طلبت من نعومي أن تساعدها لرفع ليلى من على الأرض لكي تحملها، وتركُض بها. وهي تصرخ قائلة:

- «لقد قام السحرة بعمل تعويذة الأشجار، وقد أصبحت كلها الآن كائنات تأكل البشر، لا بدَّ أن نخرج من هنا بسرعة قبل أن نصبح هدفًا لهذه الأشجار آكلة البشر!».

فبدأنا نركض في الظلام الدامس كأننا مجموعة من المجنونات، هربًا من الأشجار الوحشية، بينما كانت ماريديا في المقدمة وهي تحمل ليلى على كتفها، وتركض أسرع منا جميعًا رغم الحمل الثقيل الذي تحمله على كتفها.

الفصل التاسع والعشرون: الأفيالُ أولًا!

أخيرًا التقى الجميع، في الحديقة المحيطة بمنزل نعومي، الرجل الذئب وشادي وليلى وعالية ونينيت وماردينيا، ونعومي ودليلة ووالدتهما.

أعدَّت أم نعومي مائدة كبيرة، بعد أن وقفت أغلب اليوم أمام قدر كبير كانت تُعِدُّ فيه الطعام، وتساعدها نعومي وأخواتها ودليلة. وبعض الفتيات من الجيران.

تراصَّت عليها ألوان من لحوم الأغنام، والخبز، وبعض الأسماك الصغيرة في أطباق ممتلئة بالزيت، وألواح من ثمار الدخن، وأطباق ممتلئة بالأوجالي (دقيق الذرة يُطهى مع الماء ويوضع في شكل أقراص بيضاء عجينية المظهر بجوار اللحوم والخضراوات الأخرى)، وأطباق الكاشومباري (سلطة مكونة من خضراوات مقطعة بطريقة صغيرة).

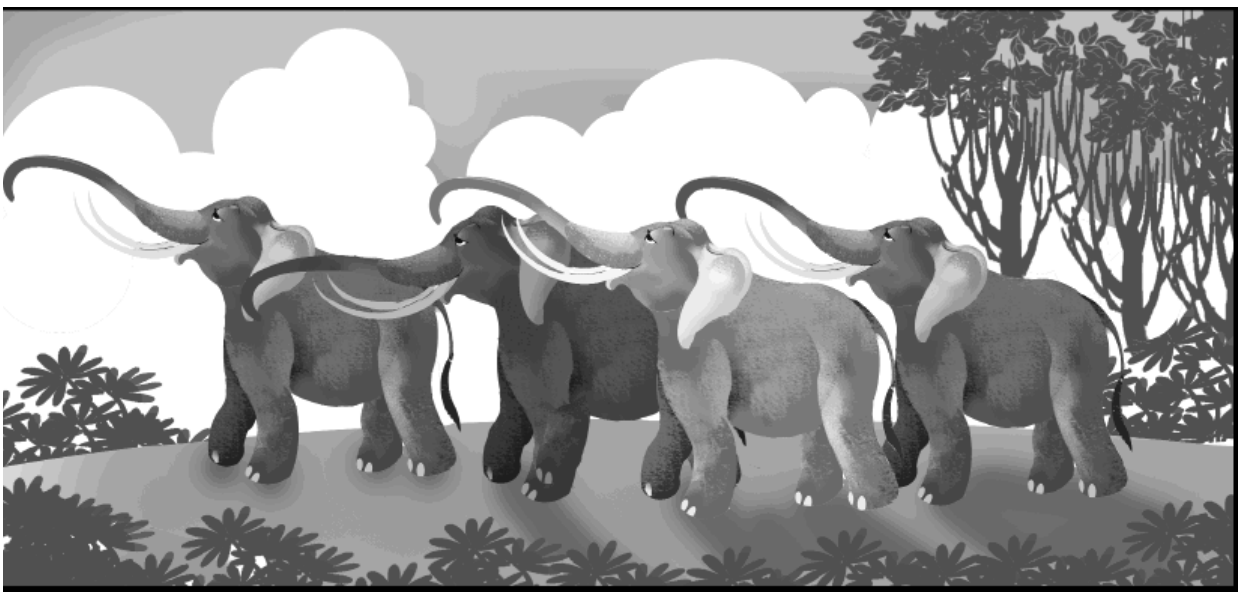

كانوا جميعًا يشعرون بالسعادة كأنهم كانوا يعيشون في كابوس واستيقظوا من النوم. حكى شادي ما حدث لهم في رحلتهم إلى نيروبي، وحكت عالية ما حدث في مدينتي الأطلال ومدينة الأشجار.

وكان كلٌّ من الفريقين يستمع لما حدث للفريق الآخر بانبهار، أما الرجل الذئب فقد كان أكثر الجميع شعورًا بتأنيب الضمير؛ لأنه خاطر وترك الفتيات يواجهن كل هذه الأمور وحدهن، وقدم اعتذاره إلى عالية وليلى، وأخبرهما أنها المرة الأخيرة التي سيرضخ لاقتراحات شادي المجنونة.

ولم يعجب الكلام شادي فابتسم ساخرًا، وقال:

- «لقد رأيتَ ما لا يمكن أن تراه في مصر القديمة يا سيدي الرجل الذئب، فلا تكن ناكرًا للجميل من فضلك».

فقال الرجل الذئب:

- «صحيح رأيتُ الكثير مما لم أكن أعرفه بسببك، وفي هذا حق لا يمكنني أن أشكك فيه، ولكن لو لم أكن معك فلا أحد يعلم ما الذي كان يمكن أن يحدث لك أيها الفرعون الصغير».

سألت عالية: «ولكن أين الفتى الصغير؟».

ردت السيدة أم نعومي:

- «لا تذكري هذا الاسم يا فتاتي. لقد أصبح اسمًا ملعونًا».

ولم نفهم ماذا تقصد السيدة في البداية، لكن دليلة شرحت لنا لاحقًا، أن الأطفال في إفريقيا يجب دائمًا أن يحذروا من أن يتعرضوا للشيطان، وقد يظهر لهم في أي شكل وينصحهم بعمل الأشياء الخاطئة ويزينها لهم. يجب على الأطفال دائمًا أن يفعلوا العكس، أي يفعلوا الخير، أما من يستجيب للشيطان مثل هذا الفتى الذي يعرض وطنه وأهله للخطر فهو يصبح منبوذًا، ويوضع في كهف المنبوذين، ويحرم ذكر اسمه على لسان أي أحد، ومن يذكر اسمه يتعرض لعقاب.

بعد أن انتهينا من تناول الطعام أمسكت دليلة والفتيات بمجموعة من الثمار التي تشبه كل منها قنينة خضراء. تشبه ثمرة الكوسة ولكنها منتفخة من أعلى وأسفل وبينهما جزء يشبه عنق الزجاجة. قالت لنا إن اسمها ثمرة الكالاباش، ويوضع بداخلها المورسيك وهو لبن ماعز مُعَدٌّ بطريقة معينة مثل اللبن المُبَسْتَر ويمتزج طعمه بنكهة ثمرة الكالاباش.

كانت نينيت غير مهتمة بموضوع الأكل تمامًا، فقد كانت تكتفي بالحبوب التي تتناولها وكل منها عبارة عن وسيلة تغذية مكثفة، ولكنها كانت مشغولة بما سنفعله.

الرجل الذئب حين لمح قلق نينيت، أوضح لها أننا لا بدَّ أن نساعد أهل القرية جميعًا في الانتقال الى المدينة الآمنة وهي مدينة كونزا، أو مدينة العلوم الحديثة القريبة من نيروبي، حيث صدرت القرارات بضرورة نزوح كافة أهل كينيا إلى تلك المنطقة، لتجنب هجوم الآليين، وكذلك لتجنب ثورة الأشجار التي أصبحت كلها الآن قادرة على التهام البشر، بلا تفريق بين الآليين والبشريين.

قال شادي موضحًا:

- «إن هذه المدينة الآن يتواجد بها كل العلماء الكينيين، ومن هناك ستتم خطة مقاومة الآليين».

قالت أم دليلة:

- «قلنا للحكومة منذ زمن أن سجن زعماء القبائل والسحرة ليس في صالح البلاد».

قالت دليلة:

- «يا أمي، كان عزل رؤساء القبائل من أجل جعل انتماء كل الكينيين لبلادهم وليس للقبائل. أنتِ تعرفين ذلك جيدًا».

الأم:

- «صحيح يا ابنتي، لكن أيضًا نعلم جميعًا أن السحرة والزعماء هم من يحفظون تراثنا القديم كله. كل حكاياتنا القديمة، وتراثنا العظيم الذي نتوارثه من جيل إلى آخر موجود لدى السحرة».

- «لكن التعليم تقدم الآن يا أمي وأصبحنا ندوِّن كل شيء بما فيه تراثنا».

- «ولكن لا يمكن أن نتجاهل أن تراثنا يقول لنا باحترام أرواح زعماء القبائل أحياء وميتين. أليس من الوارد أن ما نتعرض له اليوم هو بسبب غضب أرواح زعماء القبائل الذين ماتوا في السجن، ولم يجدوا من يدافع عنهم».

- «ربما يا أمي، لكننا الآن في عصر العلم، لا يمكن أن نستمر في علاج الأمراض باستخدام حساء الأفعى أو ذيل التمساح، الحكومة أكدت أن السحرة الذين يعرفون أصول نباتات الغابة وقدراتها على شفاء الأمراض، لن يتعرضوا لهم بسوء وسوف يستفيدون منهم بعمل أدوية حديثة من هذه المستخلصات، ولكن السحرة أصرُّوا على العناد».

هنا تدخل الأب الذي وصل حالًا وقال:

- «المهم الآن أن علينا أن تحرك جميعًا في أسرع وقت ممكن من هنا. لقد قامت الحكومة بإعلان ضرورة ركوب جميع السكان القطارات المُمَغْنَطة لكي يصلوا إلى كونزا في أسرع وقت قبل إغلاق حدودها، والسماح للأفيال بالخروج أيضًا من زنازينها. أسرعوا جميعًا من فضلكم».

سألت دليلة عما يقصده الوالد بموضوع الأفيال فقالت:

- «الأفيال في ثقافتنا مقدسة، وكان أجدادنا يعتبرونها أصل الحياة وأن أصلها بشري، وأن أول الموجودات هي امرأة تحولت إلى فيلة ومنها تناسلت سلالة الأفيال، وكانت الفيلة هي المنوط بها حراسة كينيا تاريخيًّا، لكن الحكومات الجديدة التي جاءت في نهاية القرن الحادي والعشرين أوقفت كل ما له علاقة بالمعتقدات التراثية، وقالت إن كينيا الجديدة لا

تؤمن سوى بالعلم، لكن المساعدة التي قام بها السحرة جعلت الحكومة تراجع قراراتها وتسمح بعودة السحرة إلى عملهم بشرط أن يكون ما يقومون به قائمًا على أسس علمية، ورضوخًا لزعماء القبائل قررت الإفراج عن الأفيال واستخدامها في الدفاع عن كينيا ضد هجمة الآليين».

وتدخلت نعومي لكي تشرح بدورها فقالت لنا، بعد أن انضم إلينا شادي أيضًا:

- «يعتقد أعضاء قبيلة كامبا الكينية، أن للفيلة أصولًا بشرية. وتحكي الأسطورة أن رجلًا فقيرًا ذهب لاستشارة رجل حكيم يُدعى «إيفونيا- نجيا»، آملًا في أن يعلمه الأخير كيف يصبح غنيًّا، وعلى الرغم من أن إيفونيا قد عرض عليه بعض الماشية والخبز، فإنه رفضها وطالبه بمصدر دائم للدخل».

أعطاه الحكيم مرهمًا وأمره بأن يدهن به أنياب زوجته، حتى إذا نمت أنيابها لأطول من عدة سنتيمترات، فليقطعها ويبيعها في المدينة. على أي حال، في المرة التالية التي نمت فيها أسنان الزوجة، رفضت أن تعطيه أسنانها وفضلت أن تعيش في الغابة، حيث اكتسبت جلدًا سميكًا رماديًّا وتحولت إلى فيل، وفي ذلك الحين، بعد أن حظيَتِ الزوجة ببعض الأفضال، تكوَّن أول قطيع من الفيلة على الإطلاق.

ضحك شادي قائلًا:

- «هذه حكاية غريبة ولكنها طريفة».

قالت نعومي:

- «غريبة نعم، لكن البعض في كينيا يعتبرونها حقيقية ولذلك يمنحون الفيلة الاحترام إلى درجة التقديس، كما هو شأن الأبقار في بعض المدن الهندية. هناك معتقدات كثيرة يؤمن بها أفراد القبائل المختلفة، مثل أن الأشجار أيضًا لها أرواح، وأنها تفهم لُغتنا، ولهذا اهتمَّ

السحرة بأن يقوموا باستخدام تعويذة الأشجار، وهي قد تكون من التعاويذ الشريرة، لكنها اليوم مثلًا ضرورية لنا جميعًا لأنها نجحت في قتال الأقزام الآليين».

شادي:

- «نعم، نعم، فهمت».

تدخل الرجل الذئب قائلًا:

- «أيًّا كان، علينا الآن أن نرحل من هنا».

وهكذا بدأنا نودع الجميع. الأب والأم ودليلة ونعومي وكل من حضر العشاء للاحتفال بنا، ومن بعيد رأينا الساحرة كوانزا وهي تلوِّح لنا مبتسمة، فرحنا نلوِّح لها.

الفصل الثلاثون: الطريقُ إلى الكوكبِ الأخضرِ

حين وصلنا إلى مدينة كونزا انتقل بنا الفرس السحري مباشرة إلى موقع قريب من محطة الفضاء التي يُسيطر عليها الكينيون، والتي تقع قريبًا من مدينة شاسعة اسمها مدينة العلوم. شرح لنا شادي أنه قرأ عنها وعرف أنها مدينة علمية متقدمة جدًّا، وتمتلئ بمعاهد علمية في كافة فروع العلم، وأنه يتمنى أن يجد الفرصة للدراسة يومًا في مدينة علمية كهذه.

كانت المدينة حديثة الطابع، وكل ما فيها يوحي بالتقدم والمدنية، ويذكرنا بما نعرفه عن دول مثل اليابان أو المدن الآسيوية الحديثة مثل سنغافورة والصين. لم أصدق أن كينيا بها مثل هذا المزيج الجميل بين الطبيعة الجميلة وأشكال العمارة الحديثة.

بدا القلق واضحًا على نينيت، فقد أصرَّت ماريديا على أن تصحبنا في رحلتنا من القرية التي كنا بها حتى مدينة كونزا، وقالت لنينيت إنها تحتاج إلى أن ترحل معها إلى الكوكب الأخضر لكي تبحث عن جدها مجداشي، ولم تكن نينيت تعرف ما الذي يمكنها أن تفعله، لم تكن ترغب في العودة إلى كوكبها، ولكنها كانت تريد مساعدة ماريديا بأي طريقة.

بدأت المدينة تزدحم تدريجيًّا، إذ راحت القطارات الحديثة التي تمتدُّ بين المدينة وباقي أرجاء المدن الكينية تصل متتابعة وهي تلقي بحمولتها من سكان كينيا في محطة القطار ومنها إلى الشوارع والطرقات، بحثًا عن المخابئ التي كانت مكبرات الصوت وإعلانات

الشوارع المضيئة تُشير إليها وتعرِّف سكان المدينة أماكنها؛ لأن العلماء لم يكونوا يعرفون ما يمكن أن يقوم به الآليون للاستيلاء على هذه المدينة التي تُعدُّ المحطة الأخيرة لمقاومة محاولات الآليين للاستيلاء على كينيا وحكمها.

أخذ شادي بدوره يحاول إقناع الرجل الذئب أنه يحتاج إلى مساعدته في العودة إلى زمن وفاة أمه، ولست أعرف ما الذي ذكره بهذا الأمر الآن. لقد تصورت أنه تناسى هذا الأمر منذ فشل رحلتنا الأولى حين سافرنا في الزمن حين طلب مني الذهاب معه في رحلة إلى زمن يعود إلى التوقيت الذي ماتت فيه أمه، بسبب شكوكه في أنها حية ولم تمت. وبعد أن أخفقنا في ذلك وعدنا في رحلتنا إلى زمن المصريين القدماء وخضنا المغامرات التي أنقذنا منها الرجل الذئب، لم يعد لذكر الأمر مرة أخرى. أعرف أن شادي لا ينسى والدته أبدًا. لكن لا أدري لماذا يشك في وفاتها، رحمها لله.

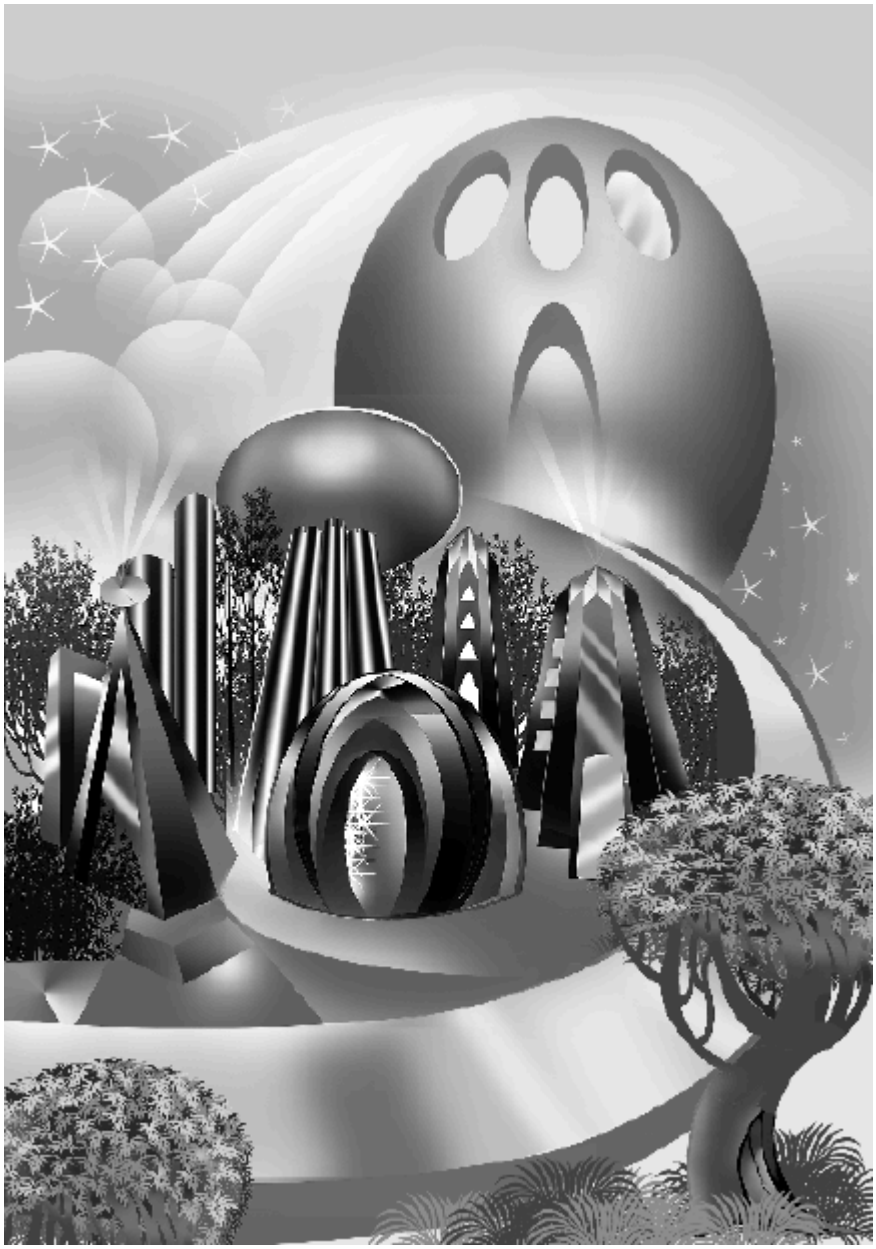

وقفنا جميعا في حال من الارتباك، من دون أن نعرف ما الذي ينبغي أن نفعله.

راح الزحام يزداد تدريجيًّا، لكن لم يكُن هناك ضجيج أو صخب. كان الشعب الكيني يتحلَّى بالصمت. يترقب ما ستؤول إليه الأمور، ولكنه على أتمِّ الاستعداد لتنفيذ التعليمات.

وكانت المخابئ الأرضية عبارة عن مدن كاملة تحت الأرض مزودة بالمطاعم والمقاهي والمكتبات، وكل ما يمكن أن يحتاج إليه من يلجأ إليها، وبمرور الوقت لاحظنا أن أعداد

السكان بدأت تقل تدريجيًّا، وفهمنا أنهم يتوجهون إلى المخابئ، ولكننا لم نكن نعرف ما الذي سنقوم به.

قلت لشادي:

- «ما الذي تقوله للرجل الذئب؟ هل ستتركنا هنا وتذهب وحدك للبحث عن والدتك؟ هذا ليس عدلًا».

- «لا، أنا أعرف أن الرجل الذئب سيُيَسِّر طريق عودتنا إلى بلدنا وزمننا أولًا كما وعدني. أنا فقط لم أعُد أستطيع الصبر. أريد أن أعرف إذا ما كان موت أمي حقيقة أم لا، أو على الأقل أن أفهم ما حدث لها. هل تفهميني يا عالية؟».

- «ولكن ماذا عن نينيت؟ هل سنتركها هنا بعد كل هذه الرحلة المجنونة؟».

- «لا، أولًا ماريديا سوف تكون في صحبتها، وربما يتمكنان بالفعل من إيجاد مجداشي في الكوكب الأخضر، وإذا أرادت أن تعود بعد ذلك إلى الأرض فسوف تفعل».

- «لكننا لم نجِدْ مجداشي لأننا وصلنا في زمن آخر، في التوقيت الخاطئ. فلماذا تذهب نينيت إلى كوكبها لتبحث عنه بينما هو قد يكون هنا لو بحثنا في الزمن الصحيح».

راح شادي يفكر وبانت على ملامحه الجدية الشديدة ثم قال:

- «ربما معك حق. لكن ماذا سنفعل الآن ومعنا فتاة أخرى تريد الوصول إلى مصير جدِّها. لقد أصبح لدينا نينيت وماردينيا معًا وكلتاهما تريدان الوصول إلى مجداشي، ثم أنا أريد الوصول إلى زمن أرى فيه أمي مرة أخرى. وأنتِ ..».

- «لا شأن لكَ بي. سوف أذهب أنا أيضًا مع نينيت إلى الكوكب الأخضر».

- «ماذا؟».

- «كما سمعت».

- «لا، لا، هذا غير ممكن. أنتِ تعتقدين أن السفر إلى الفضاء مسألة سهلة هكذا؟ تحتاجين إلى تجهيزات وإعدادات، ثم ماذا ستفعلين هناك؟ أنتِ لا شأن لك بمجداشي».

- «أنت تريد أن تبحث عن والدتك بمفردك. ليكن، وأنا سأذهب لأساعد صديقتي نينيت. أنت لا تعرف كم أحببتها، ولن أستطيع أن أتخلَّى عنها هكذا بسهولة».

ارتفعت في السماء أصوات تشبه الأبواق، كأنها نفيرٌ للتحذير، وبعدها زادت الحركة من السكان، وكانوا جميعًا يهرعون إلى المخابئ.

نادى الرجل الذئب علينا لكي نتوجه إلى أقرب المخابئ منا، لكن نينيت كانت تُخطط لخطة أخرى فيما يبدو. قالت لي فجأة:

- «سوف أرى طريقة للخروج من هنا إلى وطني، إلى الكوكب الأخضر. وسوف تصحبني ماردينيا. لم يعد لدينا الآن رفاهية تصحيح توجِّهنا في الزمن، بإمكاني أن أجد وسيلة في الفضاء لتصويب مسارنا الزمني. لكن لا تقلقي، سوف أعود إليكما أنتِ وليلى بالتأكيد».

اقتربت ليلى مني وقالت:

- «أشعر أن قلبي سيتمزق من الألم لو رحلت عنا نينيت».

- «أنا أيضًا لديَّ نفس الشعور».

- «إذن؟».

- «أعتقد أنه لا مفرَّ أمامنا من تلك الرحلة».

كانت نينيت قد بدأت في وداعنا، وراحت تحتضننا بمحبة، وكانت الدموع تترقرق في عيني ليلى وهي تحاول أن تمنع نفسها من البكاء.

لكني نظرت إلى ليلى نظرة ذات معنى فصرخت تقول:

- «لكننا لن نتركك يا نانو، لا يمكن».

أخذت نينيت تضحك، ومن فرط سعادتها طرحتْ نفسها على الأرض، وبينما كان الرجل الذئب يتأمَّلنا بقلق، ومعه شادي. وقفت نينيت مرة واحدة وهي تصرخ بنا:

- «هيا بنا إلى مركبة الفضاء. سوف أزوِّدكما ببعض قوتي. هيا بنا».

وانطلقت تعدو بينما أمسكنا أنا وليلى وماردیا بأيدي بعضنا بعضًا ونحن نلحق بها، من دون أن نبالي بصُراخ الرجل الذئب وشادي من خلفنا. كنَّا نعدو خلف نينيت كأننا لم نُخلق إلا لكي نمرَّ بهذه التجربة: السفر في الفضاء إلى الكوكب الأخضر، وليذهب أيُّ شيء آخر إلى الجحيم!

لكن الرجل الذئب رجل لا يمكن له إلا أن ينفذ وعوده، وقد عدَّ نفسه مسؤولًا عن إعادتنا جميعًا إلى زمننا. استوقفنا وأبلغنا بأنه لن يسمح لنا بهذه الأفعال المجنونة. وحين صرخت نينيت قائلة إنه لم يساعدها في إيجاد مجداشي كما وعد، قال لها بهدوء إنها تعرفت على حفيدته شخصيًّا. ثم قال لها بنبرة هادئة إن بإمكانها أن تذهب إلى الفضاء متى تشاء، ولكن إن فعلت فعليها أن تفعل ذلك وحدها تمامًا!

ونظر إلينا جميعا ثم راح ينقل بصره ويحدق إلى عيني كل منَّا واحدًا بعد الآخر، كما لو أنه ينتظر رأينا فيما يقول. بالأحرى كما لو أنه يهددنا بأنه ليس على استعداد لقبول أي معارضة له من أيٍّ منَّا.

ثم نظر إلى شادي قائلًا بصرامة إنه سمح له أن يذهب إلى أبعد مما كان مقررًا مرة، ولن يسمح بتكرار ذلك. وأكد أن المهمة التي طلبوا مساعدته فيها قد أنجزت على أفضل وجه، وأن المهمة التي يكلفه بها ضميره الآن تتمثل في أن يعود بالجميع إلى بيوتهم. وأن هذا الموضوع ليس قابلًا للمراجعة!

لكنه لم ينتظر رأينا فيما سنفعل. فقد استخدم كل قواه السحرية، وقبل أن نستوعب ما يجري وجدنا أنفسنا محمولين جميعًا على ظهر عربته الفرعونية. وعلا صوته مجلجلًا وهو يقف أمام فرسه السحري، ويبدو أنه راح يطلب منه أن يعود بنا هذه المرة إلى الزمن الحقيقي الذي ينبغي أن نعود إليه، وحين بدأنا نشعر بالحركة السريعة الهائلة وقد أحاطتنا أصوات الضجيج الراعدة، ساورتني الشكوك حول إذا ما كانت نينيت قد رقدت بجوارنا في العربة أم لا.

أردت أن أصرخ لأنادي عليها، ولكن صراخي بدا كأنه نداء لفتاة خرساء في ليلة عاصفة. فبمجرد أن انقطع صوت قرقعة أقدام الفرس السريعة، بدأ ضجيج من أصواتٍ غريبة، كأنَّها خليط من صوت أمواج البحر والرياح وهدير المحركات معًا، يدوِّي في آذاننا. كنت أعرف أنني سأغيب عن الوعي بين لحظة وأخرى. ورحت أتمنى من صميم قلبي أن تكون نينيت في صحبتنا.

تمت

1. الغلاف
2. الفتاة الآلية.. والأشجار آكلة البشر
3. الفصل الأول»: أن ترى شبحًا في مدينة الموتى!
4. الفصل الثاني: مُنْتَصَفُ اللَّيْلِ
5. الفصل الثالث: الفَتاةُ الآليَّةُ
6. الفصل الرابع: لقاءٌ مع كائنٍ فَضائيَّةٍ
7. الفصل الخامس: زيارةٌ مُفاجِئَةٌ
8. الفصل السادس: رقصةُ الفَتاةِ الآليةِ
9. الفصل السابع: عودةُ الرجُلِ الذِّئبِ!
10. الفصل الثامن: فضائيَّةٌ فرعونيةٌ
11. الفصل التاسع: البحثُ عن مجداشي
12. الفصل العاشر: سِباقٌ مع الزمنِ!
13. الفصل الحادي عشر: سيوفٌ مِنَ العاجِ
14. الفصل الثاني عشر: نعومي ذات الشعر الأزرق
15. الفصل الثالث عشر: اختلافاتٌ زمنيةٌ
16. الفصل الرابع عشر: أطلالُ جيدي!
17. الفصل الخامس عشر: أشباحٌ أم أطلال!
18. الفصل السادس عشر: المرأةُ الشجرة
19. الفصل السابع عشر: روبُوتات نَيْروبي
20. الفصل الثامن عشر: مدينةُ الشجرة
21. الفصل التاسع عشر: الطريقُ إلى محطة الفضاء
22. الفصل العشرون: الأشجارُ ذات القبعات!
23. الفصل الحادي والعشرون: الرجلُ الذئبُ والجاسوس!
24. الفصل الثاني والعشرون: الساحرةُ كوانزا والمئةُ جِنِّي

25. الفصل الثالث والعشرون: أشباحٌ غيرُ مرئية في المحطة الفضائية
26. الفصل الرابع والعشرون: الأقزامُ أصحابُ القبَّعات الحمراء
27. الفصل الخامس والعشرون: خدعة الرجال الآليين
28. الفصل السادس والعشرون: الغوريلَّا في الزنزانة!
29. الفصل السابع والعشرون: العَدُّ التّنازُلي للتّفجير!
30. الفصل الثامن والعشرون: الأشجارُ آكلةُ البشر!
31. الفصل التاسع والعشرون: الأفيالُ أولًا!
32. الفصل الثلاثون: الطريقُ إلى الكوكبِ الأخضرِ